المشرق

مشروب البيرة او الجعة

نظر تاريخي وصناعي للاب شرل شونجانس اليسوعي

(المشرق) انَّ كاتب هذه المقالة بلجكيّ الاصل كان قبل انضامهِ الى الرهبانيَّة اليسوعية استاذًا في مدرسة صناعية حيث كان يُخرّج الشبَّان في اصول الصنائع الشائعة في انحاء اوربَّة ليتناولوا ادارتها و يناظروا اشغالها. وقد كتب حضرتهُ مقالات ضافية في هذه المصنوعات فاحبَّ ان يحرّر هذه النبذة لقرَّاء المشرق في اوَّل الصيف لتعميم منافع هذا الشراب في البلاد الحارَّة. فنشكر ا' لطفهُ

البيرة مشروب يُستخرج من الشعير. وقد استحضره البعض بمعالجة الحُرطمان او الشوفان. وكثيرون من اهل آسية وافريقية قد اتخذوهُ من الأَرُزّ

قد زعم قومٌ انَّ مخترع البيرة الملك المصري اوزيريس احد آلهة ارض النيل وذلك نحو الفي سنة قبل المسيح. وممَّا لا يُنكر ان قدماء المصريين عرفوا هذا المشروب كما لم يجهلهُ قدماء الجرمانيين والكلتيين. على انَّ معاقري البيرة يفضّلون اكرام الملك كَنبرينوس (Gambrinus) الذي زعم اصحاب الاساطير انهُ كان مالكًا على قطري فلندرة والبرابنت من اعمال بلجكة. ولا يزال البلجيكون حتى يومنا يجلُّون هذا الملك ويخضعون لسلطتهِ بكثرة ادمانهم على البيرة التي جعلوها من مميّزاتهِ

وكان للعرب معرفة بالبيرة فاتَّخذوا من الشعير نبيذًا دعوهُ بالجعَة. قال صاحب تاج العروس (١٠: ٧٤): «الجِعة كهِبَة نبيذ الشعير عن ابي عُبيد. وقال غيرهُ: شراب يُتَّخذ من الشعير والحنطة حتى يُسكر سُمّيت لكونها تجمع الناس على شربها. ومنهُ الحديث: نهى عن الجعة». وكذلك تعلَّم العرب من اليونان تركيب الفقَّاع وهو شراب الشعير كانوا يعدُّونهُ على ضروب مختلفة فيخلطون ماء دقيق الشعير المُنبت بالافاويه

والنعناع والسذاب وورق الاترج والفلفل والعسل وغير ذلك كما ترى في مفردات ابن البيطار (٣: ١٦٤—١٦٥). وتسلّموا منهم المِزْر وهو شراب مسكر اتّخذوهُ من الشعير والحنطة والذرة والجاورس المنبتة (ابن البيطار ٤: ١٥٥). وكان اطبَّاء العرب يعالجون بشراب الشعير بعض الادواء. ولاسيما ازالة العطش وحرقة المعدة. قال ابن البيطار (٣: ٦٣): «اذا خُلط خمير الشعير الظاهر الحموضة في اللبن الحامض وتُرِك فيه ليلةً وشُرب كما هو قطع عطش الحُمّيات وسكّن لهيب المعدة ونفع من القيء الصفراوي والاسهال العارض من الصفراء»

على انَّ تلك الاشربة لم تشبه البيرة الحاليَّة الّا شبهًا بعيدًا كما يظهر من اوصاف القدماء لتركيبها ولطريقة استحضارها. ولا غرو ان طعمها كان حرّيفًا حامزًا ذا عفوصة وحرافة وكان لونها كدرًا قاتمًا فزجوها ببعض المركَّبات العطريَّة ليحلو طعمها وبقيت البيرة على تلك الحالة الى نحو القرن الحادي عشر فأدخلوا في تركيبها حشيشة الدينار وزهرها فاضحت بذلك من المشروبات الطيّبة المبرِّدة اللذيذة فاقبل عليها الناس لاسيما الشعوب الساكنة في شمالي اوربَّة واواسطها حتى غلب عندهم استعمالها على استعمال الخمور

واتّخذوا لاصطناع البيرة حوانيت خصوصيَّة ومصانع جهّزوها بالآنية والادوات اللائقة بها. وكان الرهبان ممَّن يشتغلون بصُنعها ويستأجرون العُمَّال لتلك الغاية. وقد جاء في صكوك بعض الشيوخ والامراء في القرون الوسطى انَّ الدير الفلاني يؤدّي لهم في السنة اكيالًا ومعايير معلومة من البيرة

وفي ذلك الوقت اخذ البعض يتأنّون ويتسابقون في اصطناع اجناس البيرة فكلٌ يجتهد في تحسين اصنافها واتقان تركيبها واليوم صار التقدُّم في استحضار البيرة لدولة المانية ثم لانكلترّة وللنمسة فيبيعونها لاهل بلادهم ويصدرون منها الى البلاد الاجنبيَّة كمّيات وافرة. ويجري في أثر تلك الممالك بلجكة ثم هولندة ثم فرنسة لكنَّ هذه البلاد الاخيرة لا تتاجر بها في الخارج وانّما تكتفي بمطوعية اهاليها

استحضار البيرة

تُعرف طريقة اصطناع البيرة بوصف الموادّ الداخلة في تركيبها وهي ثلاثة: الشعير ثم حشيشة الدينار ثم الخميرة

يؤخذ (الشعير) يابساً فيمدّونهُ على الحضيض الرطب طبقةً متساوية لا يزيد سمكها على بعض سنتمرات وربّما بسطوا الشعير على شبكّات مثقوبة انقاباً دقيقة. ومن الواجب ان يبقى المكان في رطوبة وتكون حرارتهُ معتدلة. فبعد يومين او ثلاثة ايّام ترى الشعير يذرُّ نابتاً ويلوح عليه بياض التفريخ فذلك اصلهُ ينمو شيئاً فشيئاً ويتفرَّع وفي الوقت عينه تنتفخ حبَّة الشعير

واذا مرَّ على الحبوب تسعة او عشرة ايّام بلغ الحبُّ كمالهُ من النشوء. وان سألت ماذا جرى من التغير في حالة الحبوب أجبنا انَّ الشعير كبقية الحبوب مشتمل على دقيق او نشاً فهذا النشاً يتحوَّل بدافع الرطوبة والحرارة الى سكَّر فيصبح قابلًا للتحليل في الماء بعد ان كان الماء لا يقوى على تحليله. ولو تُرك الشعير بعد استنباته لامتدَّت فروعهُ واورقت وطالت جذورهُ بامتصاص ذلك السكَّر لكنَّ هذا السكَّر هو الذي يدخل في تركيب البيرة فلا بُدَّ اذن من ايقاف نموّ الجذور. وذلك بان يُميتوا جرثومة الحبّ وتموت الجرثومة بنموّ درجة الحرارة الى حدّ معلوم

فاذا عُدمت الجرثومة عمدوا الى الشعير في تلك الحالة ففركوهُ ودعكوهُ الى ان تزول عنهُ تلك الجذور الناعمة التي نبتت عليه فتُجمع ويتخذونها كسماد للاراضي فتخصبها بما فيها من عنصر الازوت. امَّا الشعير الباقي فاذا لحظتهُ من الخارج لا يفرقهُ شيء عن الشعير العادي لكنَّ داخلهُ يختلف جدّاً عن ذلك فترى لبَّهُ صلباً حلو الطعم بسكَّره وهم يدعونهُ لباباً سكَّريّاً (malt) وصار كثيرون يفرزون هذه الصنعة عن صنعة استحضار البيرة فيقتصرون شغلهم على استنبات الشعير وتهيئته وقد اضحت هذه صناعة مستقلة يدعونها (malterie)

ثم يأخذون الشعير بعد تنظيفه كما سبق فيسحقونهُ تحت حجارة الرحى او يلقونهُ في ارحية صناعية تدور على هيئات شتى. فاذا انثروا سحقهُ وضعوهُ في مراجل كبيرة من النحاس او براميل خشب ويذيبونهُ بالماء الحار. ثم يحركون ذلك السويق حركة متوالية يدعونها عركاً (brasserie) وهي ايضاً صناعة قائمة بذاتها يتعاطاها كثير من العَمَلة. وهم يواصلون الشغل الى ان يتحلَّل في الماء كميَّة من السكَّر كافية لتهيئة البيرة المطلوبة. ومن بعد ذلك يُصفّون المائع فيجري من المصفاة الماء الممزوج بالسكَّر او العصير (moût) امَّا الدقائق المادّيَّة الباقية فيه كغلاف الشعير وما اشبه فانها تحتجز بالمصفاة

ثم يعمدون الى حشيشة الدينار (houblon) · فلهذا النبات زهرةٌ وعلى كل ورقةٍ من نورها لقاح اصفر ناعم تراهُ العين المجرَّدة وفي هذا اللقاح مادة عفصة حادة تعطي البيرة ذوقها الخاص· وقد سعى بعض ارباب الصنائع ان يستعيضوا عن هذه المادة بمركَّبات اخرى اتخذوها في المختبرات الكيموية لكنَّ اختباراتهم لم تأتِ حتى الآن بالنتائج المرغوبة ويفضِّل الشاربون البيرةَ المصطنعة بحشيشة الدينار فان طعمها ألذّ واطيب · الَّا ان المدلِّسين وجدوا في اتخاذ تلك المركبات ربحًا فيدسُّونها بالحنية بدلًا من النبات المذكور


حشيشة الدينار

واذا جُعل لقاح الدينار في العصير السكَّري أغلوهُ حتى يمتزج باللقاح امتزاجًا تامًّا ثم ينظفونهُ وينزعونهُ وربَّما بقي منهُ بعض الآثار في البراميل والقناني ولكن لا باس منهُ ولعلَّ الشَّرَبَ يُسرُّون بذلك فيجدون فيهِ دلالة واضحة على ان المشروب محضٌ لا غشَّ فيهِ

فاذا صُفّي العصير من نقاية حشيشتهِ أجروهُ في اوعية واسعة مسطَّحة حيث تبرد حرارتهُ

لكنَّ المشروب لم يبلغ بعد كمالهُ واذا شربهُ احد حينئذٍ وجدهُ قليل الطعم تافهًا ليس فيهِ شيءٌ من سورة المسكرات والاشربة الروحية· فلا بدَّ لهُ من الاختمار لينال نصيبهُ من الكحول · اما اختماره فيتمُّ على هذه الصورة يصبُّون في عصير الشعير شيئًا من رغوة البيرة التي تطفو على وجهها عند اختمارها فهذه الرغوة بمثابة الخميرة في العجين وهي في الاصل نوعٌ من الفطر يُدعى بلغة العلم (saccharomyces cerevisiæ) ولها خاصة عجيبة وهي ان تعمل في المواد السكَّرية فتحلّها الى مادَّتين الى كحول والى غاز كربونيك يدعونهُ (autoydride carbonique) فهذا الغاز يتطاير في الهواء ويمكن جمعهُ في قساطل على صورة مائع سيَّال· امَّا الكحول فيبقى في العصير الموصوف سابقًا ويجعلهُ مشروبًا حلوًا ومسكرًا ممزوجًا بحشيشة الدينار

امَّا نسبة الكحول الى بقيَّة العصير فتختلف على قدر كميَّة ذلك المشروب ونسبة الزمن المختص باختماره· والاختمار اذا ابتدأ في العصير اضطرب لهُ وجه الشراب وتحرَّك وظهرت عليه الفقاقيع والنفَّاخات وازبد زبدة كثيفة بيضاء تضرب الى السمرة · ولهذا

الخمير فملان فانهُ يحلل السكر كما سبق وهو يغتذي بمواد العصير حتى انَّ حجمهُ في اخر الاختمار يبلغ خمسة عشر ضعفاً حجمهُ في اولهِ .

واذا انتهى الاختمار جردوا عن وجه العصير رغوتهُ وتلك الرغوة تُضغط وتُحفظ وبها تُختمر البيرة عند الحاجة وتُتخذ هذه الخُمرة لاختمار العجين فيشتريها الخبَّازون لعمل الخبز. أمَّا البيرة فتصلح بعد ذلك للشرب فاذا اراد اصحابها ان يبقوها جعلوها في اخراس واسعة او دنان ضخمة وان شاؤوا بيعها سريعاً جعلوها في اوعية خاصَّة ويستعملون لذلك المضخَّات ويرسلونها لزبائنهم

وتنقل البيرة الى مسافات بعيدة يقتضي اهتماماً وعناية لئلا يفسد شرابها ويختلَّ. فتلافياً لذلك قد اصطنعوا قُطُراً كقطر السكك الحديديَّة الَّا انَّها اكبر واوسع فيدهنونها بدهون ابيض ويحافظون على برودتها بحيث لا تتغيَّر درجة حرارتها طول زمن نقلها. وبعض التجار لاسيما الانكليز يرسلون البيرة في القناني وعندهم صناعة خاصة لتجهيز البيرة على هذا المنوال. ولهم في فصل الصيف قطر غيرها يدعونها بالصهاريج تكون جوانبها مضاعفة فيجعلون في تضاعيفها جليداً يقيها من حرارة الجوّ

تجارة البيرة

تبلغ كميَّة البيرة المصنوعة في انحاء المعمور نحو ٢٦٥,٠٠٠,٠٠٠ هكتوليتر يستحضر منها الاميركيُّون في الولايات المتحدة ٧٤ مليوناً ولهم السبق في تجارتها ثم تصطنع المانية ٦٨ مليوناً يليها انكلترة ٥٨ مليوناً ثم النمسة ١٩ مليوناً وبلجكة ١٤ مليوناً امَّا فرنسة فلا تتجاوز كميَّة مصنوعها ١١ مليوناً

وهذه الارقام تزيد خطراً وبلاغةً اذا قابلت بين البيرة والخمر وما يُصطنع منهما في المسكونة فانَّ كميَّة الخمر تكاد تبلغ ١٧٠,٠٠٠,٠٠٠ هكتوليتر يصدر منها الفرنسويون ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ يُضاف اليها مصنوع الجزائر ٥,٠٠٠,٠٠٠ ثم الايطاليون ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ ثم الاسبانيُّون ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ثم النمسويُّون ٨,٠٠٠,٠٠٠ واخيراً البرتغاليُّون ٤,٠٠٠,٠٠٠ وقد دوَّنَّا ذلك في الجدول الاتي :

البيرة في العالم

البلاد	صادراتها بالهكتوليتر
اميركا (الولايات المتحدة)	٧٤,٠٠٠,٠٠٠
المانية	٦٨,٠٠٠,٠٠٠
انكلترة	٥٨,٠٠٠,٠٠٠
النمسة مع المجر	١٩,٠٠٠,٠٠٠
بلجكة	١٤,٠٠٠,٠٠٠
فرنسة	١١,٠٠٠,٠٠٠
ايطالية	—
اسبانية	—
البرتغال	—
بقيّة البلاد	٢١,٠٠٠,٠٠٠
المجموع لكل العالم	٢٦٥,٠٠٠,٠٠٠

الخمر في العالم

البلاد	صادراتها بالهيكتوليتر
〃	—
〃	—
〃	—
〃	٨,٠٠٠,٠٠٠
〃	—
〃 مع الجزائر	٦٥,٠٠٠,٠٠٠
〃	٤٢,٠٠٠,٠٠٠
〃	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
〃	٤,٠٠٠,٠٠٠
〃	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
المجموع	١٧٠,٠٠٠,٠٠٠

فيتضح من هذا الجدول انَّ البلاد التي تصطنع البيرة لا تكاد تشتغل بالخمر والعكس بالعكس الَّا فرنسة والنمسة. امَّا اذا اعتبرنا مقطوعيَّة السكَّان لشرب البيرة كان التقدُّم لبلجكة فانَّ هذه الدولة مع كثرة معاملها تستجلب كميَّات عظيمة من البيرة والخمور الاجنبيَّة. وفي بلجكة وحدها كان يبلغ سنة ١٩٠٧ عدد مصانع البيرة ٣٣٧٥ معملًا. امَّا انكلترَّة فمع سعتها لم يتجاوز عدد مصانعها ١٦٣٥ لكنَّها كبيرة

وان عدنا بالنظر الى السنة ١٨٩٠ ورأينا ما نالت البيرة من الترقي والاقبال وجدنا انَّ محصولات العالم كانت وقتئذٍ لا تتجاوز ١٧٠ مليون هكتوليتر وكانت انكلترَّة تتفوق على سواها باصطناعها فاصطنعت ٤٥,٠٠٠,٠٠٠ ه. وكانت في اثرها المانية ٤٢,٠٠٠,٠٠٠ ثم الولايات المتحدة ٢٢,٥٠٠,٠٠٠ ثم النمسة ١٢,٠٠٠,٠٠٠ ثم بلجكة ٩,٠٠٠,٠٠٠ ثم فرنسة ٨,٠٠٠,٠٠٠

امَّا اصناف البيرة من حيث حسنها وجودتها فيصعب بيان تنسيقها كما تصعب المقابلة بين اصناف الخمور. اذ انَّ لكل شارب ذوقًا ويعتبر هذا في المشروب ما لا يعيره الآخر بالًا. وما يقال بالاجمال انَّ البيرة التي يصدر منها كميَّات وافرة للمتاجرة انَّما هي اوَّلًا البيرة الالمانيَّة ثم الانكليزيَّة وفي ذلك دليل على شهرتها وارتياح الناس

الى شربهما . امّا اذا لحظت الوان البيرة فنها القاتمة السمرة واشهرها البيرة الانكليزية المدعوة ستاوت (stout) وبيرة مونيخ الالمانيَّة من اجود المشروبات وارواها للغليل . ومنها البيرة الصهباء الشائعة في بعض الاقطار كالصنف المعروف في انكلترة بپال ايل (pale ale) والصنف النمسويّ المسمّى پلسن (Pilsen) وبيرة قطر باڤارة المسمّى بوك (Bock)

وللبيرة تقسيم آخر فنها مـا اختُمر بدرجة راقية من الحرارة اعني فوق الدرجة السابعة من المقياس المئوي ومنها ما اختمر في درجة من الحرارة دون ذلك

امّا اشهر ما في اروبة من معامل البيرة فمعمل غينس (Guinness) في دوبلين حاضرة ارلندة وفيها يُستحضر صنف الستاوت المذكور آنفاً . اما البيرة الصهباء فيصطنعها محل بَبس (Babs) ومحل السوپ (Alsopp) في انكلترة . وكذلك في المانية اشتهرت معامل مونيخ ولوئنبرو (Loewenbrau) ودرتمند (Dortmund) وهلمَّ جرًّا ويصطنع اصحاب بعض الحلّات اصنافاً أُخرى من البيرة لم تسع الّا في دائرة خاصة من البلاد كنوع يدعوهُ البلجكيّون فارو (faro) يشربون منهُ كميّات عظيمة

امّا بلاد الشرق فانَّ البيرة لم تنتشر فيه حتى الآن انتشاراً واسعاً مع انَّ هذا المشروب أَولى من سواهُ لتخميد العطش لا يُعرّض كثيرًا صاحبهُ الى السكر كالعرق والنبيذ ما لم يُكثر من شربه . ولعلَّ السبب في تأخير الشرقيين عن استعمال البيرة غلاء أَسعارها وقلّة ما يرسل منها الى جهاتهم ولو قصد الشرقيّون لأَمكنهم ان يصطنعوا البيرة في بلادهم فانَّ جهات كثيرة تصلح لبناء معامل لهذا الشراب ويمكن توفير نبات الدينار في انحاء شتى . ولا مراء انَّهم يجتناون من هذه التجارة الارباح الطائلة . وللسورنيين اسوة في اهل مصر فانَّ هؤلاء منذ نحو عشرين سنة اخذوا يتعاطون صناعة البيرة فنجحوا في صنعها تماماً وهم اليوم يعملون منها كميّات غزيرة يصرّفونها في كل جهات القطر المصري

مطارنة بعلبك

حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب.م.

تمهيد

مدينة بعلبك من اشهر مدن سوريا وأجلّها آثارًا وافخمها بناء واجملها منظرًا واهمّها تاريخًا وقد عُني بجمع اخبارها جناب اللاوذعي رفعتلو ميخائيل افندي الوف ضمّنها نتيجة اكتشاف البعثة العلميَّة الالمانيَّة التي كان مساعدًا لها ومراقبًا لاعمالها (١. وكتابهُ هذا قد نُقل الى لغات شتّى وكُررت مرارًا طبعتهُ واذ كان لا بدَّ من اعادة طبعه لفوائدهِ رأيت ان اثبت بعض حلقات من سلسلة مطارنة هذه المدينة ممّا وقع لي الوقوف عليه ليضمّها الى كتابه اتمامًا للفائدة

انَّ النصرانيَّة (* وجدت مقاومةً عظيمة لمّا اراد دُعاتها الدخول في بعلبك فانَّ الوثنيَّة كانت اتخذت تلك المدينة كمعقلها الحصين فجمعت الابالسة كل قواها لمناصبة الدين الحق ولذلك لا نجد من آثار الدين المستقيم الّا النزر القليل الى اوائل القرن الرابع. فمن ذلك ما ورد ذكرهُ في الميناون اليوناني عن استشهاد القديسة اوذكسيا البعلبكيَّة على عهد طريانوس الملك في اوائل القرن الثاني لكنَّ اعمال تلك الشهيدة مشبوهة يشكّ العلماء في صحتها. واصحُّ منها ما روي في التاريخ الفصحي (Chronicon Paschale) عن القديس جيلازيوس الشهيد الذي استشهد على عهد ديوقلطيانوس الملك في السنة الثالثة عشرة من ملكه (٢

ومن الآثار الموثوق بها ما ورد في ترجمة قسطنطين (ك٣ ف ٥٨) لاوسابيوس

*) قد اضفنا هذا الفصل الى نبذة حضرة الاب قسطنطين كتمهيد لمقالته عن مطارنتها (المشرق)

١) اطلب في المشرق (٧: ٩٧ و١٠٥) مقالهُ التي عنوانها «قلعة بعلبك وحفريَّات الالمان فيها». ومن آثار غيرته دار للماديّات انشأها في نفس قلعة بعلبك جمع فيها ما وصلت اليه يدهُ من آثار بعلبك ونواحيها

٢) اطلب اعمال آباء اليونان (Migne PP. Gr., t. XCII)

القيصري حيث روى انَّ قسطنطين الكبير انشأ في بعلبك كنيسة ملكيَّة وجعل لها كهنةً وراعياً لتثبت بازاء الشرك عبادة الاله الحقيقي . والظاهر ان الدين النصراني لم ينل نجاحاً كبيراً لماكسة سدنة الهياكل البعلبكيَّة المخصَّصة لاكرام الشمس والمشتري والزُهرة . فلمَّا صار الملك الى يليانوس الجاحد أثار كهنة الاوثان باغرائهِ الفتن على النصارى واذاقوهم من النكال كما روى المؤرخ سوزومان في تاريخهِ (ك ٥ ف ١٠ وك ٧ ف ١٧) . وبقي الامر على ذلك في ايام والنس الملك الذي نفى الى بعلبك الاساقفة الذين لم يوافقوهُ على بدعتهِ الاريوسيَّة . قال تاودوريطوس في تاريخهِ (ك ٤ ف ٢٢) : ان الملك انما فعل ذلك لانَّ مدينة بعلبك كانت عريقة في الوثنية وكل اهلها شديدو التعصُّب لآلهتهم الباطلة . الَّا ان تاودوسيوس خلف والنس بعد ان اعاد السلام للكنيسة وتعقَّب آثار الوثنيَّة وعارض فظائعها وارجاسها وكانت بعلبك في مقدَّمة المدن المدافعة عن الاصنام فلم يزل الملك يتشدَّد على اصحابها حتى اضمحلَّت بقاياها وخربت هياكلها او خُصَّت بالدين المسيحي (١

اما كرسي بعلبك فكان كرسيًّا اسقفيًا منوطاً بكرسي دمشق حيث كان يجلس رئيس الاساقفة ولهُ يخضع اساقفة فينيقية الثانية كحمص وتدمر ويبرود . ثم صار بتمادي الاجيال بعض تغيير في رتب الكراسي الاسقفيَّة كما سبق وبيَّن ذلك حضرة الاب شارون في المشرق (١ : ٣٠٦ — ٣٠٩) فصار صاحب كرسي بعلبك مطرانًا كما يظهر من بعض الآثار القديمة (٢ . فمن ذلك انَّ عبد الله بن الفضل الانطاكي في القرن الحادي عشر جعل في كتابهِ تختيكون البطركيَّة الانطاكيَّة (٣ صاحب كرسي بعلبك السادس من المطارنة الصناقلة (٤ الذين هم جناح البطريرك . ومن امتيازاتهِ في التشريفات البطركيَّة تقديم الكأس . ودونك اسماء الاساقفة البعلبكيين الذين عثرنا على اسمائهم

١ (تاوضوطوس) هو اول اسقف ورد اسمهُ في الآثار الكنسيَّة . فقد قيل في اعمال القديسة الشهيدة افذكسيا التي مرَّ ذكرها ان الاسقف تاوضوطوس هو الذي نصَّرها وعمَّدها وذلك في عهد طريانوس وقد سبق انَّ هذه الاعمال ليست مثبوتة

---

١) اطلب الشرق المسيحي للوكيان (Lequien: *Oriens Christianus*, II,842, 843)

٢) مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, X: 90-91)   ٣) المشرق (٩ : ٩٥١)

٤) من اللفظة اليونانية (Σύγκελλοι) التي معناها اصحاب المشورة والندوة والمعاونون للبطريرك

٢ (ك ...) قلنا ان اوسابيوس القيصري في سيرة قسطنطين الكبير اثنى على هذا الملك لتشييده كنيسة عظيمة في بعلبك وروى انهُ رتَّب لها خدمةً يخدمونها واسقفاً يدبرها. على ان هذا المؤرخ المدقق لم يصرّح باسم المذكور

٣ (ديون) روى البطريرك مكاريوس الحلبي في جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونيَّة من البطركية الانطاكيَّة ان ديون اسقف بعلبك كان من جملة الاباء الذين عقدوا المجمع النيقاوي الاوَّل سنة ٣٢٥. وكذا روى ايضاً في سلسلة مطارنة واساقفة البطركيَّة المذكورة (١

٤ (الياس) كان في المجمع الانطاكي الذي انعقد سنة ٣٧٨ (٢

٥ (مارينوس) حضر مارينوس اسقف هليوبوليس المجمع المسكونيّ الثالث المجتمع في افسس ٤٣١ وفيه حُرم نسطور (٣. وقد زعم لوكيان في الشرق المسيحي (٣: ٥٠٠) انَّ هليوبوليس هذه هي مدينة عين الشمس من مدن مصر السُّفلى قرب الطريَّة. وانَّما خُدع بتشابه الاسم والصواب انها مدينة بعلبك كما نقل البطريرك مكاريوس الحلبي

٦ (يوسف) كان هذا على ما روى مكاريوس الحلبي ولوكيان احد الآباء الذين حضروا المجمع الانطاكي الذي عقدهُ البطريرك دومنوس في دعوى ايباس مطران الرها سنة ٤٤٧. وكذلك امضى اعمال المجمع الخلقيدوني وهو المسكوني الرابع الملتئم سنة ٤٥١ لحرم مع الاباء بدعة اوطيخا (٤

٧ (نونوس) جاء في ترجمة القديسة بيلاجيا الخاطئة التائبة التي هداها القديس نونوس انَّ المذكور جعل اسقفاً على الرها لمَّا حُرم ايباس اسقف هذه المدينة وبقي على هذا الكرسي الى ان تزكَّى ايباس المذكور وأُعيد لهُ مقامهُ فنقل نونوس الى كرسي بعلبك

---

١) راجعنا جداول الآباء الذين وقَّعوا على اعمال المجمع النيقاوي في مجموع اعمال المجامع لمانسي (ج ٢ ص ٦٩٢-٧٠٢) فلم نجد ذكراً لديون المذكور (المشرق)

٢) كذلك لم نجد لهُ ذكراً في مانسي (ج ٣ ص ٥١٠)

٣) اطلب مجموع مانسي (Mansi: *Collectio Conciliorum*, IV, 1466)

٤) راجع الشرق المسيحي (Lequien: *Oriens Christianus* II,, 843)

٨ (بطرس) يُقرأ اسمهُ كاسقف بعلبك في توقيعات الاساقفة الملتئمة على الرسالة التي وجَّهها اساقفة سوريَّة الاولى الى الامبراطور لاون في دعوى قتل بروتيريوس بطريرك الاسكندريَّة سنة ٤٥٧ او ٤٥٨ (١)

٩ (قسطنطين) زعم البطريرك مكاريوس الحلبي في سلسلة اساقفة البطركيَّة الانطاكيَّة ان المدعو قسطنطين اسقف بعلبكّ حضر الجمع النيقاوي الثاني الملتئم في نيقية سنة ٧٨٧ لمقاومة بدعة الايقونوقلاست اي مكسّري الصور والمعترضين لكرميها مع انَّ اعمال الجمع لا تذكر اسمهُ وانَّما ذُكرت في البطركيَّة الانطاكيَّة يوحنَّا وكيل البطريرك الانطاكي ثاوضوريطوس

١٠ (يوحنَّا) لم نجد ذكرًا بعد القرن الثامن لاسقف جلس على كرسي بعلبك حتى اواسط القرن الثاني عشر حيث وجدنا في احد المخطوطات انهُ كُتب سنة ١١٤٣ على عهد يوحنَّا اسقف بعلبك

١١ (بولس) في مكتبة باريس العموميَّة كتاب موسوم بالعدد ١٨١ يتضمَّن التاليف المعروف بالحاوي الكبير (٢ قد نسخهُ بخط يدهِ « بولس مطران بعلبك » في السنة ٦٧٤٤ للعالم الموافقة للسنة ٦٣٣ للهجرة و١٢٣٦ للمسيح

١٢ (صفرونيوس) في السنة ١٣٦١ عُقد في دمشق مجمع فوقع اختيار اهلهِ على باخوميوس مطران دمشق فولّوهُ الكرسي البطريركي وكتبوا في ذلك رسالة انفذوها الى البطريرك القسطنطيني واحتجوا على الاساقفة الذين انتخبوا ارسانيوس مطران صور. ومن جملة الذين امضوا باسمهم الرسالة المذكورة صفرونيوس مطران بعلبك(٣

١٣ (يواكيم) كان سنة ١٤٤١ على ما رأيت في احد المخطوطات وكنت دوَّنت ذلك في دفتري قبل عشر سنوات مع اسم يوحنا الاسقف العاشر الآ انني سهرت عن تعريف الكتاب الذي اخذت عنهُ تلك المعلومات

١٤ (جرمانوس) كان سنة ١٥٦٤ على ما جاء في انجيل كرشوني بخط يده

---

١) اطلب مجموع مانسي (Mansi VII, 557)

٢) اطلب القائمة المذكورة (ص ٧٠ (Catalogue des Mss arabes de la Bibl. Nationale, p. 70)

٣) راجع المشرق (٩: ٤١١)

اوقفهُ على كنيسة القديسة بربارة في مدينة بعلبك في ٤ حزيران في السنة المذكورة أمّا الكتاب الذي ورد فيه ذلك فمحفوظ في مكتبة جامعة اكسفورد وهو موسوم بالعدد ٤٠ بين المخطوطات السريانيّة

١٥ (جرمانوس) البعلبكي وهو غير السابق على ما يظهر وقد رسمه البطريرك يواكيم ضو (١٥٨٢ — ١٥٩٣) على ما ذكر البطريرك مكاريوس الحلبي ولبث حيًّا الى زمان البطريرك ذوروثاوس ابن الاحمر (١٦٠٤ — ١٦١٢) وقد روى مكاريوس المذكور عنهُ بانهُ كان عابدًا تقيًّا بسيطًا فانهُ ذهب مرَّةً لزيارة اورشليم في عيد الفصح ولم يستأذن بطريركهُ ذوروثاوس المذكور فكتب هذا رسالة الى البطريرك الاورشليمي صفرونيوس (١٦٠٨ — ١٦١٨) يعلمهُ فيها بما فعل جرمانوس وكلّفهُ ان يأخذ ورقة الرباط التي ارسلها لهُ ضمن الرسالة مع رسول خاصّ سافر من دمشق يوم الاربعاء من الجمعة العظيمة وبلغ اورشليم يوم السبت العظيم صباحاً قبل القداس فاستدعى البطريرك صفرونيوس المطران جرمانوس قبل القداس وبلغهُ الرباط فامتنع عن القداس بعد ان لبس بدلتهُ . وبعد عيد الفصح ذهب راسًا الى دمشق واستغفر من البطريرك وعاد الى كرسيهِ حيث مات بعد ان عاش كثيرًا

١٦ (ابيفانيوس) بعلبكي الاصل شرطنهُ البطريرك اغناطيوس عطية (١٦٢٠ — ١٦٣٣) على ما روى البطريرك مكاريوس الحلبي الذي كان معاصرًا لهُ في سلسلة مطارنة بعلبك ويذكر عنهُ انهُ كان قبل رسامتهِ متزوجًا زيجة ناموسيَّة ورُزق اولادًا كانوا يُعرفون في زمانهِ ببيت المطران في بعلبك وكان ابيفانيوس في المجمع الذي انعقد في دير السيدة بقرب بعلبك سنة ١٦٢٨ في دعوى كيرلس دبّاس الذي كان يزاحم اغناطيوس عطية على البطريركيّة ويظهر ان ابيفانيوس مات قبل انتداب مكاريوس للبطركية سنة ١٦٤٧

١٧ (انطونيوس) رسمهُ البطريرك مكاريوس الحلبي في دمشق ١٠ كانون الثاني سنة ١٦٥٢ وكان اسمهُ عازار من قرية انفة من كورة طرابلس وصار رئيسًا لدير سيدة الرويس بقرب قرية بطرام من الكورة وبقي حيًّا الى بعد وفاة البطريرك المذكور وكان من المشايعين لناوفيطوس الصاقزي في البطركية ضد كيرلس الحلبي وقد امضى مع ناوفيطوس الحكم برذل تعليم الكلفانيين في شأن الاستحالة الجوهرية

١٨ (برثانيوس) كان في المجمع الذي عقده البطريرك كيرلس الحلبي في طرابلس سنة ١٦٨٠ على ما روى المطران غريغوريوس عطا نقلًا عن منشور هذا المجمع الذي كان عنده نسخة منه ذهبت في حريقة دمشق سنة ١٨٦٠ وهو الذي زاره الكاتب الفرنسوي دي لاروك (De Laroque) سنة ١٦٨٨ وكان يحسن معهُ التكلم باللاتينيَّة وكان برثانيوس من المطارنة المتفقين مع المطران افتيميوس الصيفي والموافقين له بوجوب اعلان اتحادهم مع احبار رومية وارسل صورة اعترافه الى رومية سنة ١٧٠١ (١

١٩ (مكاريوس البانياسي) رُسم بتفويض البطريرك اثناسيوس دباس سنة ١٧٢٤ من ناوفيطوس نصري مطران صيدنايا وناوفيطوس مطران بيروت وقد رشحه للمطرانية المطران افتيميوس الصيفي قبل وفاته وزاره في بعلبك سنة ١٧٢٣ اذ كان وكيلًا بطريركيًا مدة ترمل هذه الابرشيَّة وحرَّض اهالي بعلبك على الثبات في الايمان الكاثوليكي لان مكاريوس كان من المجاهرين بهذا الايمان لكنه ما لبث ان شايع البطريرك سلبسترس القبرصي اذ خاف من الوقوع في مظالمه وفي جور وكيله المطران لاونديوس البانياسي الذي حضر الى بعلبك سنة ١٧٢٥ مسلحًا بالاوامر السلطانيَّة والقى القبض على بعض كهنة المدينة واعيانها لكونهم لم يخضعوا لهُ نظير مطرانهم مكاريوس الَّا انهم بسعي الحاج ميخائيل المطران ومشايخ بيت الابرص في الراس ومساعدة القس مكسيموس الحكيم لدى الامير اسماعيل الحرفوش أُبعد مكاريوس من بعلبك وتخلَّصوا من ضرر اضطهاد سلبسترس ومطارنته وثبتوا كلهم في الايمان الكاثوليكي بدون ان يدخل اليهم الشقاق والانقسام الى حزبين والذي انقذهم من بطاركة الروم عن الاضرار بهم ان بعلبك وبلادها كانت مستقلة يحكمها الامراء الحرافشة الذين كان من مصلحتهم قطع كل علاقة مع القسطنطينيَّة (٢

١) توجد صورة اعترافه في سجلات البروباغندا في المجلد الاول في سنة ١٧٠١ وقد شاع ذلك في اوربة وذكرهُ مع غيره المؤرخ الفرنساوي پيكو (Mémoires pour servir à l'histoire par Picot, t. I, p. 326-8)

٢) اعتمدت في هذا على ترجمة المطران افتيميوس الصيفي لكيرلس الحداد وعلى حاشية من كتاب بستان الرهبان بخط قديم جميل وفيها: « اوقف هذا الكتاب الخوري مكاريوس البانياسي تلميذ السيد البطريرك كيروكير اثناسيوس على دير القديس مار يوحنا المعمدان ببلاد كسروان

٢٠ (باسيليوس بيطار) كان دمشقي الاصل ثم دخل الرهبانيَّة الحنَّاويَّة سنة ١٧٢٨ ورُسم كاهنًا وارسل الى رومية سنة ١٧٢٨ لاستلام كنيسة السفينة ولادارة المدرسة الرهبانيَّة فيها وبقي هناك مدَّةً. ولمَّا عاد الى الشرق كان المطران مكاريوس قد مات فانتُخب الى مطرانيَّة بعلبك ورسمهُ البطريرك كيرلس طاناس في دير المخلص يوم خميس الاسرار سنة ١٧٥٤ ودعي باسيليوس وكان اسمهُ قبلًا موسى على ما نقل القس روفائيل كرامة الذي رافقهُ حينئذٍ ودخل معهُ بعلبك وارسل لهُ البابا بناديكتوس الرابع عشر براءة رسوليَّة اوصاهُ فيها بالرهبانيَّة الحناويَّة سنة ١٧٥٧ وحضر المجمع الذي عقدهُ البطريرك كيرلس في دير المخلص سنة ١٧٥٩ لاعلان تنازلهِ عن البطركيَّة لابن بنت اختهِ اغناطيوس جوهر وانحاز باسيليوس الى الاساقفة الذين رفضوا هذا التنازل ورفعوا دعواهم الى رومية. ومات بالفالج يوم عيد القديس باسيليوس في غرَّة سنة ١٧٦١ في دير سيدة البشارة اذ كان قد حضر للمداولة بانتخاب البطريرك ودفن في كنيسة القديس مخائيل في الزوق

٢١ (فيليبوس قصير) حلبي الاصل دخل الرهبانيَّة الحنَّاويَّة نحو السنة ١٧٤٠ وترقَّى بالدرجات الكنسيَّة حتى رُسم كاهنًا وكذلك ترقَّى بالوظائف الرهبانية حتى صار مدبرًا ورسمهُ البطريرك الجديد مكسيموس الحكيم مطرانًا في اول السنة ١٧٦١ وكان مع المطارنة الذين حضروا دفنهُ وانتخبوا خليفة لهُ مطران بيروت في دير يوحنَّا الصابغ في ٢٦ تشرين الثاني من السنة ذاتها. وكان في مجمع دير القمر الذي عُقد لاجل

ا لمجاور لتربة الشوير عن روحه وروح والديه سنة ١٧٢٢ مسيحية ». وبعد هذه حاشية بخط مختلف قديم مضمونها ان الخوري مكاريوس اوقف هذا الكتاب لمَّا كان كاثوليكيًا لكنهُ انحاز عن الايمان المقدس بعد ان ارتسم على بعلبك وقد جاهر بمضادة الايمان في المدينة المذكورة كثيرًا ومن حيث ان اهل البلدة كان اكثرهم كاثوليكيين ما قبلوه وهو لكي يرضي خاطر بطريركه سلبسترس اخذ يشكي عليهم الَّا انهم لم يؤثر بهم بل قاوموه جهارًا وظفروا بهِ واخرجوه من بعلبك وساعدهم مخائيل المطران الذي كان كاتبًا عند الوالي بالمدينة المذكورة وكان غيورًا وبمساعيه كان شأن الايمان مرتفعًا. وبعد خروج المطران مكاريوس لم يعد اليها بل بعد ذهابه وتشكيه لبطرك القسطنطينية على ما عمل بهِ اهل البلدة كتب يترجى مخائيل المطران وموسى الابرص الذي كان مخائيل متخذًا ابنه فلم ينجح فرجع الى حمص وبقي هناك الى ان مات على ايمانه. والكتاب المذكور اشتريته من احد اصحاب المكاتب في بيروت السنة الماضية وقدمته هدية لسيادة الايكونوموس يوسف الكفوري رئيس الرهبانية الحناوية العام بفرصة عيده الكهنوتي الخمسيني

صلح الحزبين سنة ١٧٦٣ وكان في تلك الاثناء قد حدث زلزلة كبيرة فهدمت بيوتاً كثيرة من بعلبك وأخربت قسماً عظيماً من قلعتها وكنيستها سنة ١٧٥٨ وبسبب فتن آل حرفوش كان مطارنة بعلبك يسكنون تارةً في راس بعلبك وتارةً في زحلة في حارة الراسية وتارة في دير الصابغ حيث مات المطران فيليبوس في ٢٤ تموز سنة ١٧٧٧ وفيه دُفن

٢٢ (بناديكتوس التركماني) كان حلبي الاصل ودخل الرهبانيّة الحناويّة نحو سنة ١٧٥٧ وانكبَّ على العلوم الكهنوتية والطب وبرع فيه حتى غلب عليه لقب الطبيب ورسمهُ مطراناً على بعلبك البطريرك ثاوضوسيوس الدهان سنة ١٧٨٥ وبسبب ما تقدَّم من الخراب على بعلبك اقام لهُ داراً في قرية الخنشارة كان يقيم فيها وكان مشايعاً لجرمانوس آدم برفض بطركية اثناسيوس جوهر الذي اتفقت عليه باقي الاساقفة سنة ١٧٨٨ وكان في مجمع القرقفة الذي عُقد سنة ١٨٠٦ ومات بمرض فجائي في الخنشارة سنة ١٨٠٨

٢٣ (اكليمنضوس المطران) بعلبكي الاصل من الرهبانية الحناوية رسمه مطراناً على بعلبك البطريرك اغابيوس مطر سنة ١٨١٠ واذ كان غريغوريوس حدَّاد مطران قارا مات سنة ١٧٩٥ وانضمَّت ابرشيتهُ الى يوسف سفر مطران حمص الذي مات سنة ١٨١٠ فوَّض البطريرك المذكور العناية بامر هذه الابرشية الى المطران اكليمنضوس بطريق الوكالة الى سنة ١٨١٤ حيث جمعهُ البطريرك مكاريوس الطويل على بعلبك وقارا واذ كان بيت الحرفوش يضايقون المطران المذكور واقاربهُ في بعلبك لكونهم مشايعين لاحدهم الامير جهجاه الذي اتفقوا عليه وطردوهُ من بعلبك فكان المطران اكليمنضوس يقيم في الشبك ويبرود لكنَّ البطريرك سيرافيم اليوناني أثار في غضون ذلك اضطهاداً شديداً ضد الكاثوليك فسعى بنفي المطران فاضطرَّ المذكور ان يترك ابرشيتهُ ويهرب الى زحلة ومنها سافر سنة ١٨٢٠ الى رومية من قبل البطريرك اغناطيوس قطّان ليعرض للحبر الاعظم الاضطهاد الشديد الواقع على الطائفة في ايالة حلب والشام وصيدا ويطلب مساعدتهُ. ويظهر من رسائل القس غريغوريوس طوبل وكيل الرهبانيَّة المخلصيَّة في رومية والوكيل البطريركي ان البابا بيوس السابع ارسل اسعافاً الفي ريال وفوا بها قسماً من الغرامة التي ترتَّبت على الطائفة في ايالة الشام وكانت سبعمائة كيس وعيَّن للمطران حلب والكهنة الذين كانوا في لبنان ثلثمائة ريال عدا ما نالهُ المطران المذكور من المساعدة الماليَّة والتوصية لانهُ سافر من رومية الى فرنسة وهناك كرَّس كنيسة القديس نيقولاوس في مرسيلية سنة

١٨٢١ وعاد الى الشرق سنة ١٨٢٢ واقام في يبرود حيث اشترى ارضاً وبنى له فيها دارًا وكنيسة ومات سنة ١٨٢٧

٢٤ (اثاسيوس عبيد) هو جبرائيل ابن حنَّا عبيد من مدينة عكا ولد سنة ١٧٨٠ ودخل الرهبانيَّة الحنَّاوية سنة ١٧٩٧ ودعي انسطاسيوس وارتسم كاهناً ودعي استفانوس . ولما كانت السنة ١٨٢٣ في اوَّل نيسان انقسمت الرهبانيَّة المذكورة الى بلديَّة وحلبية وكان الامر بغير رضى البطريرك وبغياب الامير بشير. فلما عاد الامير المذكور من مصر مع المعلم بطرس ابطل هذه القسمة وكتب المعلم بطرس شروطاً قرَّرها منها ان يُقام كرئيس عام راهب يكون خالي الغرض من الحزبين ومن ثم اجتمع الحزبان في دير مار يوحنا الصابغ في ٣ آب من السنة ذاتها وانتخبوا الخوري استفانوس عبيد الصفَدي (١ وبعد ان قضى مدَّة المجمع كلها بالرئاسة العامة انتُخب مطرانًا على بعلبك وقارا ثم رسمهُ البطريرك المذكور في ١١ كانون سنة ١٨٢٧ ويؤخذ من بعض رسائلهِ انهُ لم يكن من الاساقفة الذين انتخبوا مكسيموس مظلوم بطريركاً بل كان مشايعاً بهذا للمطران اغناطيوس عجوري الحلبي . وفي السنة ١٨٣٤ انتزع السيد البطريرك من ابرشيتهِ مدينة حمص وما يليها وجعلها تحت ولايتهِ البطريركية راساً لان عدد الكاثوليك فيها كان ازداد ونما بسعي وغيرة حنَّا بك بحري فارتدَّ قوم من القرى المجاورة وممن كانوا قبلًا من اهلها . وبسبب فقد الامن في تلك الايام في جبل القلمون وكل البلاد الشرقية من بعلبك تنازل بحسب طلب البطريرك عن ابرشية قارا والنبك ويبرود ومعلولا وصيدنايا ومعرونة ومعرة اذ كان البطريرك يريد

---

١) اعتمدت في ما ذكرته من برثانيوس الى اثناسيوس على كتاب « حوض الجداول » لمطران غريغوريوس عطا وعلى بعض مراسلات قديمة محفوظة الاصل عندي وهي كثيرة مختلفة منها رسالة من البطريرك اغناطيوس لجمع انتشار الايمان ارسلها على يد وكيله القس غريغوريوس الطويل في رومية بتاريخ ٣٠ آب سنة ١٨٢٣ يذكر لهُ فيها بعض التفصيل عن هذه القسمة واسبابها واتفاق الحزبين بعد هذا وصلحهما وانتخاب الرئيس الجديد وفيها بيان واصلاح للجملة الواردة في المشرق (٩ : ٨٩٨ و ٩٨١) عنهُ والمراد بالصفدي من بلاد صفد لان عكا كانت تابعة لمدينة صفد وسنجقها وليست قرية بقرب عكا كما توهَّم الاب تيموتاوس الجق. وعندي كتاب المثلثات الدريات بخط يد الراهب القانوني الباسيلي الشويري الكاثوليكي مذهباً والعكاوي اصلًا باسم انسطاسيوس ابن حنا عبيد انجزهُ ليلة عيد التجلي سنة ١٨٠٣

ان يجعلها ابرشية منفصلة ولذلك رُسم عليها مطرانًا سنة ١٨٤٩ الخوري مخائيل عطا باسم غريغوريوس ولسبب ما تقدم لم يحضر المطران اثاسيوس مجمع عين تراز سنة ١٨٣٥ وانما امضى اعماله بعد مدة ولاسيما لما صادق عليها مطوان صور الذي ارتسم في مدة اجتماعه . وكذلك لم يحضر المجمع الاورشليمي سنة ١٨٤٩ وانما ارسل اليه وكيلًا عنهُ الخوري مخائيل الكفوري وكان من الاساقفة الذين اعترضوا على بعض احكامه الى رومية ومات سنة ١٨٥٠ . ومن اعماله بناء كنيسة القديسة بربارة محلّ الدار الاسقفية الحالية لانهُ بعد انهدام الكنيسة القديمة سنة ١٧٥٨ لم يعُد في طاقة المسيحيين اقامة كنيسة جديدة بل كان الكهنة يقيمون القداس في بيت مناسب لذلك . وهو الذي اقتنى لها الاملاك الواسعة بجوارها حيث تشيّدت الكنيسة الجديدة واوقافها . وقد انشأ ايضًا كنيسة في بلدة الراس (رأس بعلبك)

٢٥ (ملاتيوس فندي) ولد في رشيد ثمَّ رسمهُ شماسًا وكاهنًا البطريرك مكسيموس مظلوم وجعلهُ من اكليروسه الخاص واول الاكليروس المذكور وكان كاتبًا لاسراره ثم رسمه مطرانًا على القلاية الاورشليمية في مصر في ٢ شباط سنة ١٨٣٨ واقامهُ نائبًا لهُ في البطركية المذكورة بموجب اعلان بطريركي وبراءة سلطانية وقد رافقهُ في اسفاره الى مصر والاستانة وكان مساعدًا لهُ في اعماله كلها . منذ كان شماسًا في مجمع عين تراز وحضر مجمع اورشليم (١ الى ان مات اثاسيوس فنقل الى كرسي بعلبك سنة ١٨٥ وكان من عدد المطارنة الذين رفضوا قبول الحساب الغريغوري الذي اعلن قبولهُ البطريرك اكليمنضوس بحوث سنة ١٨٥٧ وسافر سنة ١٨٦٧ بمعيَّة البطريرك غريغوريوس يوسف الى رومية وفرنسا وعاد معهُ الى الشرق ومات في ١٠ ايلول سنة ١٨٦١ وكان آية نادرة بحسن صوته وكان حاو الحديث حسن الانشاء . ولذلك كان محبوبًا ومكرمًا من الجميع وانشأ املاكًا واوقافًا ذات شان للكرسي في بعلبك وسواها

٢٦ (باسيليوس ناصر) دمشقي المولد من الاكليروس البطريركي الخاص جُعل رئيسًا لمدرسة عين تراز وللمدرسة البطركية في بيروت وقد رسمهُ مطرانًا بعد الانتخاب البطريرك غريغوريوس يوسف في ١٧ تشرين الاوَّل سنة ١٨٦٩ في دمشق وبعد ان زار

١) تجد في النبذة التاريخية بقلم البطريرك المذكور كثيرًا من التفاصيل عن اعمال هذا المطران

ابرشيّته سافر بمعيّة البطريرك والاساقفة الى مجمع الواتيكان وكان احد المطارنة الذين يفتخر الشرق بعلمهم لانهُ تلقَّى العلوم بكل نجاح في مدرسة غزير عند الآباء اليسوعيين . ومما يُروى عنهُ انهُ لما حضر الى بيروت سنة ١٨٧٧ لوفاة المطران اغابيوس الرياشي أبنهُ بخطبة غاية في البلاغة فهتف لهُ في الكنيسة كثيرون « مثلك يجب ان تكون الخطباء » وفوّضت اليه حينئذٍ الوكالة مدة ترمّل الابرشية وطُلب انتقالهُ الى كرسي بيروت ألا انَّ البعض رفضوه لاسباب فنقل الى بيروت المطران ملاتيوس فكاك . وسنة ١٨٨١ ذهب الى القدس الشريف موفدًا من قبل البطريرك غريغوريوس يوسف لينوب عن المّة في السلام على ولي عهد مملكة النمسا الارشيدوق رودلف ابن الامبراطور فرنسيس يوسف . وقد اقتنى املاكًا واسعة في قرية ابلات للكرسي وسنة ١٨٨٤ انتابهُ مرض أنحل جسمهُ واضعف ذاكرته حتى التزم ان يترك الابرشيَّة والاهتمام بها الى ان مات في دمشق في ٢٦ ايلول سنة ١٨٨٥ ودُفن في كنيستها تحت المائدة الكبيرة

٢٧ (جرمانوس المعقد) دمشقي الاصل كان مولده سنة ١٨٥٠ ثم دخل الرهبانية المخلصية سنة ١٨٦٨ ودعي اغناطيوس وكانت قد تجددت مدرستها بقرب دير المخلص فدخل اليها سنة ١٨٦٩ واكمل دروسه فيها بكل نجاح ولاسيما العربية بآدابها والفلسفة بكل فروعها واللاهوت الادبي والنظري وكان احد اساتذتهِ المعلم يوسف باخوس الشهير وخرج من المدرسة سنة ١٨٧٤ بعد ان رسمه شماسًا البطريرك اكليمنضوس بحوث المتنازل في دير المخلص وسافر الى دمشق ليكون معلمًا في المدرسة البطريركية . وقد فوّض اليه البطريرك غريغوريوس يوسف العناية بالاخويات وكان يعظ بحضوره في الكنيسة البطريركية بكل نجاح وافادة وهو شماس وسنة ١٨٧٥ رسمهُ كاهنًا سيادة المطران باسيليوس حجار وعاد الى مدرسة دير المخلص ليدرس فيها الفلسفة واللاهوت سنة ١٨٧٨ . وبعد ذلك اتخذه البطريرك غريغوريوس كاتبًا لهُ وكاتمًا لاسراره ثم ارسله الى القدس الشريف وفوَّض اليه النيابة البطركية فيها . ومن اعماله هناك انهُ سعى وتوفَّق لمشترى كنيسة القديسة فيرونيكا هناك وتفرَّغ بكل جدّ لتنقيح كتاب الميناون ومراجعة ترجمته على الاصل اليوناني مدة ثلث سنوات حتى ابرزه بعبارة فصيحة وكان باكورة قلمه السيَّال . ثم ألحقهُ بعد ذلك بكتاب الكلام الحي وسبيل الصلاح ورفيق العابد ورواية حسناء بيروت وسياحة الفيلسوف الروماني والسلوة وسيدة لورد .

واكثر هذه الكتب طُبعت مرارًا وتُرجم بعضها الى اللغة الفرنساوية. وسنة ١٨٨٦ استدعاه البطريرك غريغوريوس الى دمشق ورسمه مطرانًا على بعلبك في ١٤ اذار بعد الانتخاب القانوني ودعي جرمانوس. ومن اعماله في بعلبك انه بنى دارين جميلتين وباشر في بناء الكنيسة الجديدة الّا انه وجد في سبيلهِ عوائق حملتهُ على ان يطلب التنازل عن رتبتهِ اقتداء بمعلمه البطريرك اكليمنضوس بحوث وما زال ملحًا على السيد غريغوريوس ليعفيهُ من الاهتمام بالابرشية الى ان نال ذلك سنة ١٨٩٤ وتسمّى مطرانًا على اللاذقية شرفًا. واذ كان يفضّل العزلة والانفراد عن الناس بنى له دارًا في حريصة يقيم فيها اليوم مع كاهنين يتمرنان على يده على القاء الوعظ بقصد ان يؤلف جماعة تختص للرسالة بالوعظ والارشاد في القرى الفقيرة وفّقه الرب لكل خير وصلاح

٢٨ (اغابيوس المعلوف) وهو سيادة مطرانها الحالي بعد ان قبل البطريرك تنازل المطران جرمانوس فوّض الوكالة البطريرك المطلقة على هذه الابرشية لسيادة الايكونوموس اغابيوس معلوف وكيل مطران بيروت سابقًا من الرهبانية الحناوية فاقام بمهامّ هذه الوكالة بكل غيرة ونجاح حتى اكتسب محبة ابناء الابرشية كلهم وانتخبوهُ مطرانًا بالاتفاق التام بعد اختبار حسن صفاتهِ وغيرتهِ مدَّة سنتين ورسمهُ البطريرك غريغوريوس في بيروت في ٢٦ اذار سنة ١٨٩٦ وعاد الى كرسيهِ وباشر اعمالهُ بكل همّة ونشاط ونجاح حتى كاد لا يصدق ذلك من يعرف انحراف مزاجهِ الّا ان اعمالهُ تنطق في بعلبك بلسان حالها فقد اتمّ بناء الكنيسة الجديدة مع كل ما يلزم لها من الزينة حتى صارت تباهي اجمل كنائس الشرق الكبيرة. وشيَّد دورًا واوقفهـا عليها واقتنى لها املاكًا واسعة غنيَّة في مدينة بعلبك وفي قراها ومن رام الزيادة فعليهِ بمطالعة كتاب « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » فيجد ما يغني عن زيادة البيان هنا عن مآثر سيادتهِ اكثر الله من امثالهِ وامدَّ في ايامه

الطقوس البيعية

لحضرة الخوري نعمة الله مبارك المرسل الكريمي

المراد بالطقس البيعي ترتيب ونظام العبادة الخارجة لله. وهو من الاهمية بمكان حتى ان الكتب المقدسة والمجامع المسكونية والاقليمية أكثرت دائماً من الاوامر والتحريجات بالمحافظة عليه ولذلك وجهت شركة الصلوة في مدة شهر شباط من هذا العام صلواتها بنوع خصوصي لاجل المحافظة على الطقوس البيعية

فاهمية المحافظة على الطقوس بمنزلة أهمية العبادة الخارجة لله. فمن المعلوم ان العبادة الخارجة لله مؤسسة على احدى خواص الكنيسة الجوهرية اي كون الكنيسة منظورة. فالايمان الكاثوليكي يعلمنا ان السيد المسيح جعل كنيسته منظورة اي محسوسة وجعل فيها وسائل الخلاص اي الاسرار والصلوة تحت صور منظورة محسوسة لكي يتمكن الناس من الاهتداء اليها ويجدوا فيها خلاصهم الابدي ولذلك قد شبهها المخلص لاسمه السجود بالمدينة المبنية على جبل التي لا يمكن ان تخفى على ناظر (متى ٥ : ١٤) ومن ثم لزم ان تؤدى فيها العبادة لله وتخدم فيها الاسرار المقدسة بنوع منظور محسوس. وان يكون ذلك بنوع مرتب ومنتظم

١ نعم ان جوهر العبادة لله يتوقف بوجه أولي على العبادة العقلية كقول المخلص: ان الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا (يوحنا ٤ : ٢٤) لكن الانسان مركب من نفس وجسد فينبغي له ان يعبد تعالى عبادة مزدوجة اي عبادة باطنة عقلية قائمة بافعال الفضائل الالهية الايمان والرجاء والمحبة. وعبادة خارجة محسوسة قائمة بانواع السجود والصلوات اللفظية والذبائح وما شاكل ذلك لان الذي خلق النفس والجسد للانسان وجبت له افعال العبادة من كليهما. ثم ان الانسان عضو من اعضاء الهيئة الاجتماعية فيلتزم بالعبادة الخارجة لاجل بنيان القريب. قال القديس توما (٢ : ٢ م ٩١ ف ١) : « لا يظن احد ان الكنيسة المقدسة رسمت الصلاة اللفظية والتراتيل لنوضح بها لله عواطف قلوبنا واشواقنا كلا. . . لان الله عارف بافكارنا قبل ان نوردها. وانما نتلوها بصوت عال لمنفعتنا نحن »

فالناس في هـذه الدنيا لا تتأثر عقولهم وقلوبهم عادةً ولا تكتسب شيئاً من الخارج الّا بواسطة الحواس كما يعلّم الفلاسفة. فاذا عاينوا الاحتفالات الدينيّة الخارجة وسمعوا الالحان الكنائسيّة الخاشعة واستنشقوا عرف البخورات الزكية ارتفع عقلهم الى الله وتذكّروا الاحترام الواجب لعزّته تعالى ورفعوا لجلاله التسابيح الملائكيّة وبخور الصلوات في مجامر القلوب مُؤدّينَ لهُ عزّ وجلّ عبادةً عقليّةً وقلبيّةً

ولا غرو لانّ الاشياء الخارجة كثيراً ما تحرّك عواطف النفس او تسكّن اضطرابها أو تهيّج فيها عوامل الحزن او الفرح وذلك ما أعلن به القديس اغسطينوس في كتاب اعترافاته (ف ٦) حيث قال: « الهي ما اكثر الدموع التي كانت تجري من عينيَّ عند استماعي انغام تسبيحك ومدائحك الكثيرة وكم كنت استعذب اصوات كنيستك التي كانت تطرق سمعي فكان حقّك يلج قلبي ويضرم فيه عاطفة التقوى فأذرف الدموع وبهذا يستكنُّ وجع قلبي » . وليس هذا الامر بغريب عن روح الكتاب المقدس لان اليشع النبي عند اضطرابه طلب زمّاراً يرتّل لهُ ويسكّن اضطرابه ويعدّهُ لقبول روح النبوة (٤ ملوك ٣: ١٥) فالاحتفالات الخارجية هي بمنزلة جناح وريش تساعد العقل على ان يطير ويرتفع الى الله باكثر سرعة ولهذا يقول القديس يعقوب (٥: ١٣) : هل فيكم مكروب فليُصلِّ او مسرور فليُرتّل . والقديس بولس الرسول يحث المسيحيين على ترتيل التسابيح والمزامير واغاني الروح (افسس ٥: ١٩) . فلهذا السبب ايضاً امرت الكنيسة المقدسة ان تقام الاحتفالات أيام الآحاد والاعياد بامارات الفرح والعظمة وفي سبّة الآلام بشواعر الحزن والكآبة لكي يتذكر المؤمنون بنوع حيّ افراح السماء والاوجاع التي احتملها المخلّص ليربح لنا الملكوت

وهذه العبادة الخارجة قد انتشرت عند كل الامم التي اعتقدت بوجود الالوهيّة . فقد شادوا لهذا الغرض الهياكل والمذابح والّفوا الصلوات وصنّفوا التسابيح والتراتيل ورتّبوا الطقوس والاحتفالات والاعياد الخ . وقد امتاز الشعب الاسرائيلي بفرائضه الدينيّة الخارجة . ولذلك رسم الله لموسى الذبائح والتقادم والصلوات والنذور الخ كما نرى ذلك منفصّلاً في سفر الخروج وسفر الاحبار . وقد رنّم موسى تسبحتهُ الشهيرة بعد اجتيازه البحر الاحمر وكانت مريم اخته تضرب على الدفّ والمِزْهَر وتردّد اللازمة مع بنات اسرائيل (خروج ٥ : ١٢) . وداود الملك قد اجرى عادة ترتيل المزامير على آلات

موسيقية واقام المرتلين امام المذبح يرنّمون احسن الترنيم (٢ أيام ٥ : ١٢)

والخلاص لاسمه السجود لم ينقض العبادة الخارجية بل بدَّل انواعها بما هو اشرف واسمى فبدَّل الذبائح الدمويَّة برسم ذبيحة الافخارستيا الغير الدمويَّة. وأمر باستعمالها على مدى الاجيال بقوله: «اصنعوا هذا لذكري الى مجيّ». واقرَّ استعمال الصلوات اللفظية وانواع السجود واحتفال الاعياد بكلامه ومثاله. فقد علَّم رسلهُ ان يصلّوا قائلين: «ابانا الذي في السماوات الخ» (متى ٦ : ٩). وكان يذهب كل سنة مع ابويه الى اورشليم لاحتفال عيد الفصح (لوقا ٢ : ٤١). وقد سبَّح مرتّلاً مع الرسل بعد العشاء الاخير (متى ٢٦ : ٣٠) وقد جثا على ركبتيهِ في بستان الزيتون (لوقا ٢٢ : ٤١) وخرَّ على وجههِ الى الارض مصلياً (متى ٢٦ : ٣٩). وجرى الرسل من بعدهِ على مثاله وهكذا فعلت الكنيسة كلها في كل اجيالها. وقد الهمَ الروح القدس مدبّريها الالهي احبارَها وقديسيها ان يصنّفوا المدائح والترانيم ويرتّبوا الطقوس الخارجية ليقوم بها المؤمنون في الزمان والمكان المعيَّنين. وذلك لتكون البيعة الارضية على مثال البيعة السماويَّة تمجد الحمل الالهي المقرَّب على مذابحنا كما يمجده في السماء المختارون على اصوات الكنّارات (رؤيا ١٥ : ٢). فالعبادة الخارجية هي بمنزلة اعتراف بالديانة ومجاهرة بالايمان لان المخلّص لا يطلب منّا ان نؤمن به بالقلب فقط بل ان نعترف به بالفم ايضاً ولذلك قال عزَّ من قائل (متى ١٠ : ٣٢ ولوقا ٩ : ٢٩): «من يعترف بي قدام الناس اعترف به قدام ابي الذي في السماوات. ومن يستحي بي وبكلامي يستحي به ابن البشر عند مجيئه في مجده»

٢ ضروريَّة: اذا العبادة الخارجة لله ضروريٌ ايضاً حفظ نظامها وترتيبها او بعبارة أخرى حفظ الطقوس. فتشويش النظام في العبادة وعدم المحافظة على الترتيب يؤديان الى تشويش العقل ويزيلان الهيبة والرونق فيفوت الغرض المقصود. فالكتب المقدسة والمجامع الكنائسيَّة قد علَّقت اهميَّة كبرى على هذا الامر. فيوذا موسى النبي قد رتَّب كلَّ شيءٍ مُفصَّلاً وامر الاحبار واللاويين ان يجروا عليهِ مدقّقاً. ومخلّصنا الالهي عند ما اراد ان يقدس الافخارستيا ارسل اثنين من رسله هما بطرس ويوحنا ليعدّا غرفةً مفروشةً مزيَّنة (لوقا ٢٢ : ١٢). والقديس بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١١ : ٢٠—٤٠) وبَّخهم على عدم حفظهم النظام والترتيب في

حضورهم عشاء الرب (١١ : ٢٠) ولامَ نساءهم على كشف رؤوسهنَّ عند الصلوة (١٨-١٣:١) ثم وضع لهم ترتيبات أمرهم ان يجروا عليها موقتاً ثم وعدهم انهُ سيرتب ما بقي متى قدم اليهم ثم شدَّد الامر عليهم بان يكون كل شيءٍ على وجهٍ لائق ومنتظم

وكذلك المجامع المقدَّسة فانها قد اشبعت الكلام عن هذا الامر. منها ما جاء في المجمع اللبناني عند كلامه على ذبيحة القداس حيث يقول:

يتعيَّن على جميع الكهنة ان يكونوا محيطين علماً ومرتَّين بالاحتفالات والطقوس المقدسة وعليهِ نتقدم الى الرؤساء المحليين ونحثهم ان يخرّجوهم فيها من قبل ان يرقوهم الى درجة القسوسية كما انهُ يجب على الجميع ان يرعوا نظاماً واحداً بعينهِ سواء كان القداس ذا حفلة او عاديًّا (عدد ٢) (وقال ايضاً عند تكلمهِ عن صلوة الخورس): نأمر بأن يوضع للكنائس الكاتدرائية والاديار الكبيرة قوانين مفصلة حكمة وسداداً وتقوى تتكفَّل بحفظ نظام الخورس وترتيب الفروض الالهية ورعاية الخشوع حاثين على خدام الخورس قاطبةً ان يرعوها بالتدقيق وعلى رؤساء الخورس خاصةً ان لا ينفروا حدوث أدنى خللٍ فيها ولاسيما في ما يلاحظ الدخول الى الخورس والخروج منهُ (عدد ٣)

فهذا حق وواجب لانهُ اذا كان ملوك الارض يطلبون حفظ النظام في جيوشهم مع ان ليس وراء ذلك سوى غايات بشرية ومجد عالمي فكم بأولى حجَّة يجب ان يتنظَّم جنود رب الجنود. فالكنيسة المقدسة ما هي الَّا صورة لكنيسة السماء. لان الله امر موسى ان يصنع كنيسة العبرانيين على المثال الذي اراه اياه على الجبل (خروج ٣٥: ٤٠). ومخلّصنا لاسمهِ السجود صنع الكنيسة المقدسة كذلك لكن على نوع اكمل فمن الضرورة ان يكون النظام في احتفالاتها صورةً لنظام الملائكة في السماء. وعلى هذا النظام يتوقف جمال الكنيسة الخارجي الذي تغزَّل بهِ سفر النشيد بقوله (٦: ٩): «من هذه المشرقة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس المرهوبة كصفوف تحت الرايات». بهذا النظام يرتفع العقل الى الله وينشغف القلب بحب الديانة ويُرغم المتشدقون والمجدفون على الديانة ان يغيّروا لهجتهم ويهتفوا مع بلعام قائلين (عدد ٢٤: ٥): «ما اجمل خيامك يا يعقوب واخبيتك يا اسرائيل»

فالملوك والاراكنة يتهيَّبون الحفلات الدينيَّة متى كانت متقنة جيداً. فهاهوذا ڤالنس الاريوسي الذي كان عاهل القسطنطينيَّة فانهُ لمَّا دخل كنيسة قيسارية ورأى القديس باسيليوس الكبير يقيم الذبيحة الالهيَّة وحولهُ الكهنة والشمامسة قائمين بخدمتهم بكل

اجلال ونظام وخشوع وهيبة استولت عليه الرجفة وكاد يسقط على الارض لو لم يسنده اعوانه ٠ وكم نرى من الناس يتهافتون من كل فجٍّ الى حضور الاحتفالات الدينيَّة التي تقام في عاصمة الكثلكة عند تثبيت القديسين مثلاً

غير ان الذي يذهب برونق الطقوس وبهائها انما هو (اوّلاً) روح الاستئثار والاستبداد اي ان يغيّر المحتفل ويُبدل حركات الطقس على هوى نفسه ٠ (وثانياً) روح الاستخفاف والاهمال وقلّة الاكتراث أما هرباً من التعب وأما ضنّاً بالوقت فمتى ساد هذان الامران « جعلا الكرم خراباً والتين حطاماً فيقشرانه باسنانهما المشبهة اسنان الاسود وينبذانه فتبيضّ اغصانه » (يوئيل ١: ٧) اي تصبح العبادة الخارجية لله مجلبة للعثار وامتهاناً للدين اذ يصير لكل كاهن طقس مخصوص ونظام مستقل ولا يعود فرق بين الاحتفالات والايام الاعتيادية فتخمد الحركة الدينيَّة وتموت الشواعر التقويَّة

ولهذا اوصى القديس بولس اهل تسالونيكي (٢ تس ٣: ٦-٧) ان يتجنبوا كمحروم ذلك الذي يخالف الترتيب والنظام حيث قال: « نوصيكم ايها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح ان تتجنَّبوا كل من يسلك من الاخوة على خلاف الترتيب بغير مقتضى التقليد الذي تسلَّموه منَّا ٠ وقد ورد في المجمع التريدنتيني في جلسته السادسة وقانونه ١٣ ما نصُّه:

ان طقوس الكنيسة الكاثوليكية المقبولة والمثبتة والجاري استعمالها في مباشرة الاسرار المقدسة الاحتفالية لا يمكن احتقارها ولا إهمالها اختياراً من الخدّام بدون خطإ ولا تبديلها بطقوس أخرى من اي راعٍ كان

وعلى ذلك قد نهى المجمع اللبناني بالتشديد عن تبديل الطقوس البيعيَّة المقبولة بأخرى جديدة على حسب الهوى ولو كانت من طقوس كنائس أخرى ٠ ثم يأمر كل كاهن ان يكون نصب عينيه وبين يديه كتاب الطقسيَّات ٠٠٠ ليتسنَّى له القيام بخدمته كما ينبغي خالياً من ان يزيد شيئاً او يحذف شيئاً (في الاسرار عموماً عدد ٢)

فهذه الدواعي وما شاكلها قد حرَّكت غبطة السيّد الفضال البطريرك الياس بطرس الحويك السامي الملتهب غيرةً على مجد الله واصلاح شؤون طائفته ان يأمر اولاده آباء الرسالة اللبنانيَّة الموارنة بوضع كتاب يجمع شتات الحركات الطقسيَّة ونظامها ليُرجع اليه في احتفال القدّاس الالهي وصلوات الفرض في الخورس والجنازات والرتب البيعيَّة والطوافات وغير ذلك من الطقوس والعبادات ٠ فتفرَّغ لهذا العمل بعض

الاباء المذكورين ونقّبوا في مكاتب المدارس والاديار والكرسي البطريركي على الكتب الخطيَّة والمطبوعات وقابلوا ما بينها وجمعوا ما امكنهم جمعهُ ونظموا كتاباً سمّوهُ «منائر الطقسيات» وعرضوهُ على انظار السيد البطريرك الكلي الطوبى فبعد ان شرّفهُ بنظرهِ السامي وطالعهُ بعض السادة الافاضل والكهنة الاجلاء في الكرسي البطريركي اجاز طبعهُ والعمل بموجبهِ وأمر في منشورهِ الصادر في ١٨ شباط من العام الحاضر بالاعتماد عليهِ. فكفى بهذا تحريضاً لاكليروس الطائفة المارونيَّة ليُقبلوا على اقتنائهِ ومطالعتهِ وقد وافق تمثيلهُ للطبع أواخر شهر شباط الذي فيهِ كانت شركة الصلوة توجّه صلواتها لاجل احترام الطقوس البيعيَّة والمحافظة عليها فكأنهُ جاء ثمرةً لصلوات المؤمنين. وقد كان النجاز من طبعهِ في اواسط شهر أيار ليكون بمثابة هدية من المؤلفين لمريم العذراء والدة الحبل الالهي الذي هو غاية كل طقس واحتفال كما انهُ مبدأ كل خير وصلاح. فنسأل فادينا الالهي ان يعود هذا الكتاب لتمجيده ومنفعة النفوس وان يجزي كل من تعب فيهِ خير الجزاء امين

الفتاوى الامركيَّة في المعتقدات الدينية

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اللبناني في وطنهِ كأرز جبالهِ فيكون طيّب الارومة شديد البنية باسق الفروع صافي الجوهر لا يعتريهِ الفساد حتى بعد توغّلهِ في السنّ. وما ذاك الّا لحسن التربة التي ينشأ فيها ويترعرع في نواحيها ويستنشق هواءها الطيّب فينضجي عنصرهُ اشبه بعنصرها حتى يرقد رقادهُ الاخير في ظلّ سمائها وقرب الكنيسة التي تولد نفسهُ عند الوفاة لافراح النعيم كما اولدتها بالمعموديَّة للدين المستقيم

تلك صورة اللبنانيّ في جبل قدسهِ على انَّ بينهُ وبين ارز لبنانهِ شبهاً آخر وهو ارتياحهُ الى وطنهِ بحيث لا يُحبّ ان يُغرس في غيرهِ من الاوطان فان غُرس فقَدَ شيئاً من محاسنهِ ومميّزاتهِ الجديَّة. كذلك اللبناني اذا انتقل بالمهاجرة الى بلاد اجنبيَّة قلّما يصون في قلبهِ تلك السجايا الطيبة والخلال الممدوحة التي كان يمتاز بها في وطنهِ. وكفانا

برهانًا على قولنا ما تنقلهُ الجرائد كل يوم عن سوء تصرف كثيرين من المهاجرين في بلاد الغربة والسبب في ذلك واضح فانَّ هؤلاء المساكين يحلّون بين أُمم تخالفهم اصلًا ودينًا ولغةً وعادات فيقصدون التشبُّه بها ويعدلون عن الجوهر ليتمسَّكوا بالاعراض واصطلاحات التمدُّن الخارجة او يتشبَّهون بمن تخدعهم ظواهرهم ويقعون في اشراك ذوي الغايات والمطامع فيمسون بعد قليل مثلهم في ارتكاب الجنايات واتيان المحظورات

واذا فسد قلب الانسان اسرع الفساد الى عقله فيعادي الدين لانَّهُ يجد في الدين مبكّتًا لأعماله الباطلة ورادعًا يردعهُ عن سوء السلوك واذا حاول احد ارباب الصلاح ان يرشدهُ ويعود به الى سواء السبيل قام في وجههِ وصوَّب سهام الملامة الى خدَمة الدين ونسب اليهم كل ضرب من الآثام وان رأى في سلوكهم ما يوازي دقّة البعوضة كبَّرهُ حتى يبلغهُ جرم الفيل او ضخم الجمل

ومن هؤلاء المتطاولين على الدين من يرقى مجالس الخطابة فيخوض في ميادين الجدال عن الدين وخواصّهِ وهو لا يعرف من اصوله الّا ما قرأهُ في بعض كتب الملحدين او صحائف المتشدقين . ويجلس غيرهم «على كرسي موسى» فيُفتون في امور الدين الفتاوى العجيبة التي لم تخطر على بال نُطس الحكماء وكبار الفلاسفة وائمّة اللاهوت ولو اردنا جمع هذه الفتاوى الاميركيَّة — ولولا احترامنا لقرّائنا لدعوناها بالخرطات الاميركيَّة — لأناف عددها على المئين لا يفسح لنا ضيق المكان مجالًا لايرادها وها نحن نكتفي ببعض المزاعم التي نشرها افراد من اولئك الكتبة ليقف القرّاء على علم هؤلاء الاساتذة

عقل الحيوان

فمن ذلك مقالة لجناب « الكاتب العصري » فرح انطون ادرجها في الجامعة تحت هذا العنوان « الحيوان يعقل كالانسان » أتى ببراهين دامغة كاد يحسدهُ عليها داروين إمام مذهب التحوُّل الّا انَّ ذلك الكاتب ألف لتأييد قوله كتبًا ضخمة ولم يعرض قوله الّا كرأي من الآراء امَّا كاتبنا العصريّ فانَّهُ حكم الحكم البات ولم يدع ريبًا لمرتاب وذلك في « حقل ونصف » من جريدته الجامعة

وان اردتَ ان تعلم ما هي هذه البيّنات اللامعة روى لك قصّة ثلاثة هررة كانت كل هرّة تكرع الحليب من اناء مرقوم عليه عدد من الاعداد الثلاثة الاولى

فاستدلّ من ذلك انّ للهرة معرفةً بعلم الحساب. ونحن نشير على جناب الراوي ان يجرّب تلك الهرة بان يجعل في الاناء المرقوم بالعدد ١ خمسة قطع من اللحم ولا يضع الّا قطعة واحدة في الاناء المرقوم بالعدد ٢ وقطعتين في العدد ٣ ويطلق العنان للهرة فلا نشك في انّ الهرّة صاحبة العدد ٢ والهرّة صاحبة العدد ٣ تزهدان وتموتان من الجوع محبّةً بعلم الحساب. ولعلّهُ يقول ان هجمت الهرّتان على الخمسة القطع من اللحم انّهما فعلتا ذلك لمعرفتهما بفضل العدد ٥ على العدد ١ او ٢. فما قول الخواجا فرح انطون بهذا العلم الفائق (اطلب في مجاني الادب ٢٠٨:٢ قصّة كهذه تشهد للسنانير بالعلم)

وأمّا مثل «الحصان العالم» في المانية الذي كان يجيب صاحبهُ عن التاريخ العددي بنقر حافرهِ فجدّد لنا ذكر تلك الخزعبلة التي نقلتها مجلّتا الهلال والمقتطف واثبتنا كذبها في المشرق (٨: ٢٨٥—٢٨٧) بل اقرّت مجلّة المقتطف بشططها في نقل ذلك الخبر الذي زيّفتهُ لجنة من العلماء في برلين. فتعجّبنا كيف عاد «الكاتب العصري» فرح انطون الى تجديد هذه «الخرطة» الفظيمة

وكذلك اورد لنا مثل بعض قرود تأتي اعمالًا ياتيها الانسان فقال عنها «انّها تبتني المنازل وتعيش نوعًا كالمتحضّرين» فيا لها من اكتشافات عجيبة تقضي بانّ للحيوان عقلًا كالانسان. وعندنا انّ الانسان دون الحيوان في امور كثيرة كبناء عشوش الطيور واوكار بعض الحيوانات ولو قصد لا يستطيع ان ياتي مثلها فلا بُدَّ من القول انّ الحيوان اعقل من الانسان. وكان لدى «الكاتب العصري» برهان اقوى من ذلك وهو قريب منهُ نريد ذلك «القرد امبراطور» الذي زعم الهلال انّهُ كان يفهم اللغة الانكليزيّة» (اطلب المشرق ٩: ٤٨٣) فنشير الى الخواجا فرح انطون ان يدرس على ذلك القرد لغة البلاد الامركيّة وينشر ملخّص دروسه عليه

فهذه اخصّ البراهين التي توجب العلماء في عهدنا بان تسجّل على مزعم «الكاتب العصري» فرح انطون بان الحيوان عاقل كالانسان. ونضرب صفحًا عن امثلة اخرى ضربها جنابهُ لبيان قوله صونًا لشرفهِ كالذي رواه عن «ذكاء الخنزير» وما اشبه. وان طاب جنابهُ ان نعدل عن الهزل ونكلّمهُ بالجدّ فيتّضح لهُ تعليل تلك الاعمال في بعض الحيوانات أحلناهُ الى مقالة حضرة الاب لويس رزڤال في الواهمة والغريزة (المشرق ٤:

١١٠٠) فيجد الجواب على سؤالـهِ ولا يعود يخلط « بين شعبان ورمضان » فيميز « بين الالف والمادنة »

الماسونيّة في اميركا قبل التاريخ

لا يأخذك العجب من هذا العنوان ايهـا القارئ اللبيب فلستُ انا بمخترعهِ بل نقلهُ احد اللبنانيين عن بعض الاميركيين ودوَّنهُ في جريدة الهُدى في جملة مقالة طويلة فيها عجائب وغرائب اكثر من « جراب الكردي » . فمن بعض مزاعمها ان اميركا قبل اكتشاف كولمبوس كان يسكنها شعب من الاسرائليين او جيرانهم الفينيقيين . ولا شكَّ ان اكتشافاً مثل هذا لو صحَّ الخبر يُعدّ من اعظم الاكتشافـات العصريَّة لكنَّنا بعد التروي تحقَّقنا انَّ هذا ايضاً من جملة الاقاصيص الاميركيَّة التي لم يكترث لهـا احد من العلماء . واراد المشعوذ ان يأتي بشبه برهان على قولهِ فأتى بذكر حجارة زعم انَّها وُجدت في اميركا عليها كتابة عبرانيَّة مضمونها اسم « يهوه » اله العبرانيين مع ذكر بعض صفاتهِ الواردة في التوراة . على انَّ مجرَّد النظر الى رسم تلك الكتابة وصورتهـا يبيّن جليًّا انَّ الاثر مصنوع حديث العهد لا صحَّة لهُ

ثم اردف هذه « الخرطـة » بذكر آثار الماسونيَّة في العالم الجديد قبل التاريخ . وان سألت الى اي سندٍ استند الى اثبات هـذا الامر الغريب . اجابك ان الاثريين الاميركيين وجدوا بعض أدوات بنائية منها فأس من الحجر الاسود فزعموا انَّ مصطنعي تلك الآلات كانوا من البنَّائين ولمَّا كانت جماعة البنَّائين هي جمعيَّة الماسون كما يُترجَم اسمهم بالفرنسيَّة استنتجوا من هـذا الاكتشاف انَّ اولئك القوم كانوا من جمعيَّة الماسون . أفلا تقتنع أيُّها القارئ بهذه الحجَّة القاطعة . فما احراك بأن تُقابل بتوما القليل الايمان ان لم ترضَ بادلَّة كهذه . وان شئت برهاناً اعظم اتاك بهِ صاحب المقالة بما حرفهُ « انَّ بقرب البحيرات الكبرى في الولايات المتحدة عدَّة علامات مـاسونيَّة كالصليب المالطي وغيره فاستنتج علماء الاثار القديمة من كل ذلك انَّ سكَّان امركا قبل التاريخ كانوا يعرفون الماسونيَّة ويستعملون علاماتها » . وكان يمكن لصاحب المقالة ان يزيد على قولهِ انَّ الكنيسة لاسيما في الشرق اتَّخذت منذ اول النصرانيَّة الصليب المالطي (✠) الكنيسة ايضاً هي جمعيَّة ماسونية . فلا جرم انَّ براهين كهذه المع من الشمس في رائعة النهار . امَّا نحن فعندنا برهان يرقّي الماسونيَّة الى جنَّة اوَّل التكوين والى عدن نفسها لانَّ

هناك سُمع لاوَّل مرَّة شعار الماسونيَّة على لسان الحيَّة : « ان عصيتما امرهُ تعالى بأكل الثمرة لن تموتا بل تصيران كآلهة عارفي الخير من الشرّ » فهذا الشعار احقّ بالماسونيَّة من سواه اذ فاه به المارد الكبير رئيس الابالسة ومنشئ الماسونيَّة الاعظم وكان سبق آدم بعصيانهِ صارخاً : « لستُ متعبداً فلا اخضع »

ابليس الصالح

وهذا ايضاً من ثمرات الاوراق الاميركيَّة فانَّ شاباً اسمه حافظ طرزي زيَّن احد اعداد جريدة ابي الهول بمقالة قام فيها محامياً عن ابليس فوصفهُ كشيخ مظلوم لا يعرف البشر فضله وانما يسبُّونهُ ويلعنونهُ زوراً وجهلاً لطاعتهم العمياء لاقوال الاكليرس وانما الاكليرس مسخوا صورة ابليس وصوَّروهُ على خلاف شكلهِ الصحيح واخترعوا وجود الخطيئة الاصليَّة وزعموا انها تُمحى بالمعموديَّة وذلك « طمعاً منهم بالريال المجيديّ الذي يتقاضونهُ على كل من يعمدونهُ »

وهذا كلّهُ قد اوحاهُ ابليس لحافظ افندي الطرزي الذي هو من اصدق اصحاب شيخ الهوَّة فظهر لهُ الشيطان على قولهِ واوحى لهُ بالسرّ المدفون . فما بقي علينا الّا ان نهنّئ حافظاً طرزي على الشرف الذي نالهُ لكنَّنا لا ندعو لهُ بدوام الوداد مع ذلك الصديق الحميم لئلا يرى يوماً ما يُعدّهُ ذلك الشيخ الكريم من الهبات النفيسة في ملكهِ لاصحابهِ ويسمع صوت القائل : اذهبوا ايها الملاعين الى النار الابديَّة المعدَّة لابليس وذويهِ

وقد أتبع كاتبنا الجاهل دفاعهُ عن الشيطان بنبذة كل حرف منها « عالك وتخبيص » فيروُنا انَّ شكري افندي الخوري يثبت في جريدتهِ ابي الهول مثل هذه « اللتّات الكفريَّة » المسوَّدة لوجه التاريخ . ولا يعذرهُ قولهُ في آخرها « انَّ لهُ على هذه المقالة كلاماً » فانَّ خرافات كهذه لا تستحقّ ان تطبع في جرائد « الزعران » نفسها فكان افضل لهُ وانفع لقرائهِ ان يتابع لهم قصَّة زُعيتر او فنيانوس من هذه « التلفيقات »

الدين والعلم

ولكن دعنا وهذه السفاسف فلنوجّه الانظار الى معلّمَين آخرين قاما في اسرائيل بين اميركا احدهما ماجم افندي خليل عبده والآخر قيس افندي لبكي فانَّ الاوَّل كتب مهاجري في المهاجر فصلاً تحت عنوان الدين والعلم وتبعهُ الثاني فغنّى على نغمتهِ في جريدتهِ

الحديثة وكلٌّ منها ادَّعى ان الدين والعلم لا يتَّفقان. فتحصنا اقوالها وسبرناها بمعيار الفكر وعرضناها على محكّ الانتقاد لعلّنا نجد دليلًا صادقًا او شبهًا باليقين يوجب هذا الحكم ودونك نتيجة بحثنا

نبتدئ بفصل ملحم افندي الذي جمع في ثلثة اعمدة كلامًا طويلًا كلُّهُ طعن في الدين فكرَّر مرارًا ان الدين والعلم لا يتَّفقان والتجأ الى سبنسر ودروين وريان وكل « قرطة » الكفار ليثبت مدَّعاهُ وزعم انَّ اهل الدين ينسبون الى نفسهم العصمة فيما يقولون امَّا اقوال غيرهم فيردُّونها تيهًا وعجبًا لمجرَّد كونها لا توافق آراءهم

على رسلك يا ملحم افندي فاني اراك اشبه بفارس الاسبانيين المعتوه المسمَّى دون كيشوت الذي لم يفكّر في غير الحروب حتى انهُ كان اذا رأى شجرًا او ارحية هواء ظنَّها جيشًا كرَّارًا فهجم عليها بسيفهِ ورمحهِ ليظفر بها. فكذلك اراك تحارب الدين حربًا عوانًا حيث لا وجه لانتشاب الحرب وامتشاق الحسام

فايَّ علم ناشدتك الله نشأ في عصرنا وقامت الكنيسة او ارباب الدين ليناقضوهُ فليس بين المعارف العصرية علمٌ واحد الَّا وللاصحاب الدين فيه ائمَّة من العلماء المبرّزين الذين لم يزحزحهم دينهم شيئًا عن مجاراة رصفائهم وعن التوغُّل في اسرار الطبيعة واكتشاف كنوزها الخفيَّة. ولا اطلب لاثبات قولي برهانًا بعيدًا فانَّ في العام الماضي توفي ثلاثة من كبار العلماء بلغ كل منهم اوج الفخر في علمهِ فَعُدَّ قولهُ حجَّة بين آل عصرهِ احدهم المسيو دي لاپاران (راجع الصفحة ١٤٢) كان امام الجيولوجيين اي علماء طبقات الارض وتبلغ مصنَّفاته المئين فكان اشدَّ الناس تمسُّكًا في دينهِ لا يجد في اكتشافاته ما ينقض اركان الدين بل ما يزيدها مكانةً وثباتًا وكثيرًا ما ردَّ على رصفائهِ وزيَّف مزاعمهم في حقّ الدين. والثاني هنري بكريل الذي توفّق الى اكتشافات عديدة في الاجسام المشعَّة وكان يجلُّ الدين ويمارس كل تعاليمهِ ولم يجد البتَّة في الدين ما يعيقهُ عن درس الطبيعة واستخراج دفائنها المكنونة. والثالث هو الاب اليسوعي لافون الذي اشرنا الى تقدير العلماء لاعمالهِ الخطيرة وثناء مجلس الأمَّة في لندن على خدمهِ للعلوم الفلكيَّة

ما نقولهُ عن هؤلاء يمكن قولهُ عن الوف غيرهم تُغني اقلامهم كلَّ يوم نوادي العلم بما يضعونه من التآليف في كل ضروب المعارف وكثيرون منهم اساقفة وكهنة

ورهبان فان صدق قول ماجم افندي لما امكن هؤلاء ان يتعاطوا العلوم الّا بعد ان يجحدوا دينهم لانّ الدين والعلم لا يتّفقان

وان اعتبرت المدارس والكليّات والجمعيّات العلميّة والمطابع ودور الصنائع لرأيت انّ لاهل الدين فيها حظًا اوفر من سواهم ٠ فانّ اليسوعيين وحدهم مثلًا يديرون في العالم ثمانية عشر مرصدًا فلكيًا تستمدّ الدول نفسها من رصود مديريها ٠ أفيقول ماجم افندي انّ اليسوعيين لا يتجرّدون للعلم الّا بنبذ الدين ؟

فان عدلت الى العلوم التاريخيّة او اللغويّة الجديدة وجدت اهل الدين يكاتفون سواهم في ابحاثهم فهذا الاب شيل الدومنيكي يُعَدّ كشيخ العلماء في شرح الكتابات الاشوريّة ومثلهُ الاب اليسوعي ستراسماير ٠ كذلك كثر المؤرخون الكاثوليك الضاعاء باخبار الدول والكنيسة ممَّن ينحني امامهم كل العلماء ويقرّون بفضلهم كالاب غريزار اليسوعيّ والاب دنيفل الدومنيكي ٠ امَّا الاثريّون فاكثر من ان يُحصوا ٠ وعلى ذلكَ قس بقيّة المعارف واللغات الاجنبيّة فانّ اهل الدين لم يدعوا صنفًا من العلوم دون ان يتزاحموا في احراز درره ويصنّفوا فيه المصنَّفات الجليلة ٠ فهذا رينان زعيم الملحدين تعلّم اللغة العبرانيّة على الكاهن العالم لوهير (Le Hir) وكثيرًا ما اطنب في محامده حتى بعد رفعهِ رجلهُ على الكنيسة التي ربّتهُ بين طلبتها في سان سولپيس

فقلت اذن شططًا يا ماجم افندي اذ زعمت انّ الدين ينافي العلم وغاية ما يؤخذ من مقالتك انّ اهل الدين لا يسلّمون بكل ما ينسبهُ البعض الى العلم كرأي دروين في النشوء والارتقاء وغير ذلك ممَّا يذهب اليهِ قوم من العلماء ٠ لكنَّ اهل الدين لا يردّون هذه المزاعم باسم الدين فقط بل باسم العلم ايضًا ويوافقهم في نفيهم هذه الاراء علماء خالون عن كل غرض ديني اذ لم يجدوا في تأييدها ادلّة مقنعة

كذلك شططت بقولك « ان الدين يحتاج الى ان يطبَّق على روح العصر واكتشافاته العلميّة » فانَّ الدين مبنيٌّ على تعاليم اوحى بها الله او علَّمها ابنهُ الالهي للبشر يزول السماء والارض قبل ان يزول حرفٌ منها لأنَّها عقائد راهنة ثابتة مصدرها الحق الذي لا يمكنهُ ان ينخدع او يخدع احدًا فليس للانسان بعد ان يتثبَّت صحّة الوحي الَّا ان يطأطئ الرأس امام عزّة الوحي بها

ثم انَّ للدين آدابًا شريفة وفرائض منيفة تتناول الانسان في كل اطوار حياتهِ

وفي كل اعماله مع خالقه ومع قريبه ومع نفسه فان قام بهما المرء اصاب المرمى ونال سعادة الدارين

وعلى الوجهين ليس للدين حاجة الى ان ينطبق على روح الاعصار لأنَّ الدين حياة كل الاعصار وحلية كل الشعوب لا يحتاج الى ان يتحوَّل كل يوم الى صورة جديدة او يلبس زيًّا جديدًا فانهُ مع ثبات مبادئه ودوام تعاليمه يوافق كل الموافقة احوال البشر في اي زمن واي بلدٍ عاشوا دون اختلاف احوالهم من صغار وكبار وعقلاء وجهَّال ورؤساء ومرؤوسين ومتمدّنين ومتبدّين فليعمل الكلّ بوصايا الدين يروا قوّتهُ في توطيد الهيئة الاجتماعيَّة وتوثيق رباطات المجتمع البشري وتمكين اهله من السعادة

اما الملام الذي وجَّههُ ملحم افندي الى ارباب الدين وتعييرهُ لهم ببعض اعمالهم السيّئة فانهُ خارج عن موضوع كلامهِ . وان سلّمنا بهِ فذلك لا يدلّ على مناقضة الدين للعلم . على كل حال نقول لهُ قول المسيح عن الكتبة والفريسيين انَّ ارباب الدين جلسوا على كرسيّ موسى فليسمع لاقوالهم ولا يعمل باعمالهم . على اننا عالمون والشكر لله انَّ ارباب الدين اجمالًا ابرنا مما يتّهمون بهِ يطابقون بين تعاليهم واعمالهم فلا يزالون نور الدنيا وملح العالم وان وُجد بينهم بعض الافراد الذين سهوا عن شرف دعوتهم وحادوا عن طريق الصلاح فما لنا الّا ان ندعو لهم لينهضوا من ورطتهم ويعودوا الى شرف رتبتهم ونتذكر ان بين تلامذة المسيح نفسهِ وجد رجل شرّير اغضى الرب عن ذنبهِ .

يشوع بن النون ووقوف الشمس بامره

بقي علينا قيس افندي لبكي فانهُ لم يجمع الاقوال الطويلة لبيان مقصوده في عدم اتفاق الدين والعلم لكن عمد الى واقع خصوصيّ اخبرهُ الكتاب المقدَّس فاستند اليهِ لثبات قضيّتهِ . وقد سرّنا ان نرى احد الكتبة ينقطع الى درس الكتاب الكريم ويبحث في معانيهِ ويتعقَّب مشكلاتهِ ولكن قد تسرَّع قيس افندي لبكي بحكمهِ على انه وجد تناقضًا بين الدين والعلم ولو راجع المفسرين او استفتى العلماء الكاثوليك لأرشدوهُ الى وجه اليقين

اما الواقع الذي أُغلق على جناب الكاتب شرحهُ فهو خبر يشوع بن نون وتوقيفهُ للشمس فانَّ قيس افندي بعد براحهِ لبنان دخل الكليّات الامركيّة ودرس العلوم الفلكيَّة ويظهر من مقدّماتهِ على هذه المقالة انهُ برع فيها . والدليل على طول باعهِ انه

يعلمنا بحذق عجيب انَّ للشمس ثلاث حركات حركة يوميَّة اذ تدور على محورها مرَّة في كل ٢٤ ساعة ثم حركة سنويَّة اذ تدور حول الشمس مرَّة في ظرف ٢٦٥ يوماً واخيراً حركة فلكيَّة تشارك فيها نظامنا الشمسيّ

فبعد هذه الشروح انتقل فلكيُّنا العصري الى الحادث الذي روي في سفر يشوع (١٠:١١—١٥) وقد ذُكر هناك كيف استمدَّ يشوع من الله ان تقف الشمس ريثما يتمّ له الظفر من اعدائهِ فوقفت الشمس وسمع الربّ لصوت انسان حيث قاتل الربّ عن اسرائيل. هذا هو الواقع الذي شوَّش عقل قيس افندي وبلبل كل معارفهِ الفلكيَّة التي تعلَّمها في كليات اميركا لاسيما في داخليَّة الارجنتين «حيث اوجدت له الظروف (كما زعم عن نفسهِ) احرفاً عربيَّة فشعر بدعوة تدعوهُ الى الكتابة» فظنَّ انهُ بتعرُّضهِ للدين يكتسب لهُ شهرة وينس ما عنَّ لفكرهِ

ولو تروَّى جناب الكاتب لأمكنهُ ان يعتبر قبل تسطيرهِ لرأيهِ الكفريّ في تزييف كلام الله انَّ الوفاً وملايين من البشر بينهم كبار العلماء ونطس الفلاسفة وائمَّة الاحبار والملافنة العظام عرفوا ذلك الواقع من قبلهِ ولم يجدوا بتصديقهِ ما وجدهُ قيس افندي من المشاكل فخاف على الارض وخاف على الشمس وخاف على كل نظام الفلك ان يتبلبل بسبب تلك المعجزة فصاح بالويل والثبور ورأى ان الله عزَّ وجلَّ لم يمكنهُ لاجل شعب صغير كالشعب الاسرائيلي ان يصنع آيةً كهذه التي لا تقطع عقل فيلسوف عظيم كقيس افندي لبكي

فماذا نقول والى اين نهرب لننجو من هذه السهام الصائبة والرجوم النارية اللذيع الأولى انَّ نقرَّ معترفين بجهلنا ونلقي عنَّا تبعة الدفاع عن الكتاب المقدَّس فنجاهر بما فيه من الروايات الخرافيَّة غير الصادقة ونعلن على رؤوس الملإ انَّ قيس افندي اكتشف اميركا جديدة وتحقَّق ان الكتاب المقدَّس مجموع خرافات ليس لله فيه حظّ البتَّة .

على رسلك يا افندي وان سمحتَ لنا بحثنا معك مليًّا في هذه الآية لتعرف آراء اهل الدين في شرحها فلعلَّك تقرّ اذا سمعت اقوالهم بانك حملت الكلام على عواهنهِ

واوَّلاً يسوءنا ان نقول لك ان المعارف الفلكيَّة التي طنطنت بها نقلتها دون تدقيق عن احدى الجرائد الكفريَّة ولو راجعت كتب الهيئة المضبوطة لوجدت اغلاطاً في أقيستك ولعلمت انك لم تبهرنا بعلمك المستعار

ثانياً ان اعتراضك على الكتاب المقدس في امر توقيف الشمس قد عرفهُ من قبلك ارباب الدين واعداؤهم فما كانوا اليك في حاجة للاعلان بهذا المشكل والردّ على شبهتهِ

ثالثاً بل لست انت الواقف على هذا الاعتراض بقراءتك للأسفار الالهيَّة وانما استقيتهُ من الموارد الفولتيريَّة فخُدعت بصفائها وليست هي الَّا مستنقعات وخمة. قال فولتير قبلك في الكتاب المعنون «التوراة المفسَّرة»: انَّ الطبيعيين لا يدركون معنى قول يشوع للشمس ان تقف والشمس كما هو معلوم ليست بسائرة. ثم لا يفهمون كيف انَّ ذلك اليوم الطويل الذي كان شبه نهارين لم يغيّر حركة السيَّارات ونظام الكسوفات» هذا ما قالهُ فولتير وردَّدهُ من بعدهِ صديقنا لبكي ولو اراد الوقوف على جواب العلماء في ذلك لاستطاع ان يستفتي اراكو (Arago) اكبر فلكيي العصر السابق حيث قال في كتابهِ المدعوّ العلوم الفلكيَّة الشعبيَّة (Astronomie populaire III,23):

«قد ساء ظنُّ فولتير في يشوع بن نون حيث نسب اليهِ الجهل بحركة الارض وسكون الشمس فانَّ يشوع اذ امر الشمس ان تقف حمل كلامهُ على مفهوم اهل عصرهِ وتكلم كما نتكلم نحن ايضاً اذ نقول طلعت الشمس وغابت وسارت في كبد السماء مع علمنا بان الحركة هي حركة الارض حقيقةً ليست حركة الشمس كذلك يشوع لم يوقف حركة الشمس بل حركة الارض»

على انَّ هذا الجواب لا يزيل المشكل بتمامهِ وانما ينفي فقط حركة الشمس حول الارض ولكن هل اوقف يشوع حقيقةً ارضنا في دورانها اليومي على محورها فانَّ في اثباتها من الخوارق والمعجزات ما يصعب ادراكهُ وما ينشأ عنهُ اضرار جمَّة في نظام الطبيعة. ولا شكَّ انهُ كان بقي من ذلك الواقع بعض الاشارات امَّا في تاريخ الامم وامَّا في الآثار القديمة. وليس لنا دليل على ذلك مطلقاً. فدونك الاجوبة التي تقرّب تصديق هذه الآية وذهب اليها العلماء من اهل الدين

اوَّلاً وان سلَّمنا بان يشوع بن نون اوقف حقيقة الارض في سيرها ريثما تتمّ لهُ النصرة على اعدائهِ فانَّ الله سبحانهُ وتعالى امكنهُ ايضاً ان يمنع في الوقت ذاتهِ الاضرار الناجمة عن توقيف الارض فانَّ قدرة الله وحكمتهِ لا تنحصران في حدود بشريَّة فيمكنهما ان تتناولا الكون برمَّتهِ وتتلافيا ما ينجم في حدوث تغيير نظام الطبيعة من الاضرار. ومن هذا القبيل يبطل زعم الذين ينكرون وقوع هذه العجيبة خوفاً من عواقبها السيئة.

فسكّن بالك يا قيس وأفرخ روعك فليس على الله شيء عسير وان رأى بعنايتـه ان في ايقاف حركة الافلاك نفعاً لمخلوقاته اوقفها لا محالة اذ هو ربّ الطبيعة يتصرّف بجوهرها تصرُّف السيّد بعبده المطيع فتتمّ ما يشاء وكيفما يشاء

ثانياً ولعلّ قيساً وامثالـه لا يقنعون بهذا الجواب الاوّل ويصرّون على نكرانهم لما يستلزمهُ ايقاف كرتنا الارضيَّة من كثرة العجائب ونحن نعلم ان الله عادةً يتّخذ في عمل آياته الوسائط القريبة . فدونك شرحاً آخر نستعيرهُ من اقوال قوم من الفلكيين . قالوا انّ غاية ما طلبهُ يشوع بن نون في حومة الوغى من الـه اسرائيل ان لا يبقى انتصارهُ على اعدائهِ ناقصاً بمغيب الشمس وانسدال ظلمة الليل على الارض فأجاب الله الى سؤلهِ دون ان يغيّر شيئاً في حركة الارض والافلاك وانما عكس في الجوّ اشعَّة الشمس بعد مغيبها حتى ان العين كانت لا تزال تنظر نورها في الجوّ مع غيوبهـا وراء الأفق ١٠١٠ انعكاس تلك الضياء او تصرُّفه بها فامكنهُ ان يصير على طرائق شتى كبعض الظواهر النوريَّة التي تحدث في سمائنا كالشفق الشمالي في بعض البلاد مثلًا

ثالثاً وقد آثر بعض المفسرين للكتاب الكريم رأي القائلين بانَّ الله أوجد جرماً منيرًا في الجوّ جعلهُ بدلًا من الشمس وأنار به بني اسرائيـل ريثما يتعقَّبوا اعداءهم المشركين ويستأصلوا شأفتهم . فان رضي قيس افندي بهذا الجواب تخلَّص من الارتباكات التي تخوَّفها من وقوف الارض والافلاك

رابعاً وقد امعن غيرهم من المفسرين النظر في درس رواية هذا الفصل في سفر يشوع فوجدوا انَّ الراوي يذكر في ذلك المكان ان الله رمى اعداء بني اسرائيل ببرَد عظيم الحجم كالحجارة (يشوع ١٠ : ١٠) فاستنتجوا من الامر انَّ محلَّة العموريين كانت تكاثفت عليها السُّحب وادلهمَّت الظلمات وضُربوا بحجارة البَرد حتى صار نهارهم ليلًا دامساً فلمَّا تتبَّعهم يشوع بن نون خاف ان تلك الدياجير تمنعهُ من ادراك آثارهم فطلب من الله ان تنقشع تلك الدُجون وتعود الشمس الى نورها العاديّ فاجاب تعالى الى ما طلب منهُ عبدهُ . فعلى قول هؤلاء تقوم الآية باضمحلال تلك الظلمات القاتمة التي كانت سوَّدت اديم السماء . فلا بأس ان يلتجئ صاحبنا قيس الى هـذا التفسير وتبقى مبادئهُ الفلكيَّة سليمةً لا خوف عليها من طوارئ المعجزات

خامساً واخيرًا قد وجد بعض المحدثين من كتبة عصرنا وجهاً آخر لشرح آية يشوع

قالوا: انَّ راوي معجزة ايقاف الشمس في هذا الفصل لا يتكلَّم عن لسانهِ بل ينقل رواية شعريَّة وردت في سفر يُدعى سفر المستقيم قال (يشوع ١٠: ١٢): «فوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم. وذلك مكتوب في سفر المستقيم». ولمَّا كان هذا سفر المستقيم كتابًا شعريًا يشتمل على اخبار واغانيّ ومنظومات شتى كان يتداولها العبرانيّون فنقل كاتب سفر يشوع ما وجدهُ في ذلك المجموع تاركًا العهدة على صاحبهِ الشاعر. ومن المعلوم ان الشعراء اذا رووا خبرًا بالغوا في وصفهِ وزيَّنوه بضروب البديع ونسبوا لهُ المعجزات كما تمثَّلها قوَّتهم المخيلة. وخلاصة هذا الجواب الذي ورد آخرًا في مجلَّة الدفاع الدينيّ (Revue d'Apologétique) انَّ ما روي في هذا الفصل ليس هو كلام صاحب الوحي بل هو منقول على علَّاتهِ من كتاب آخر عاليّ شعريّ مفقود روى الكاتب كلامهُ دون ان يلتزم بصحَّتهِ ولذلك اشار الى المورد الذي استقى منهُ بقولهِ «وذلك مكتوب في سفر المستقيم». امَّا نحن فلا نقطع بصحَّة هذا الجواب الَّا انَّ الكنيسة حتى الآن لم تنفِ صدقهُ فهو من الآراء الراجحة التي يمكن التشبُّث بها. فان وجد قيس افندي في حلّ المشكل على هذه الطريقة جوابًا مقنعًا فعليهِ بهِ فانهُ لا يعود لهُ خوف من تشويش النظام الفلكي فضلًا عن انهُ لا يجد موجبًا للقول بمناقضة الدين للعلم

وفي الختام نتوسَّل الى الكتبة الاميركيين ان لا يتعدَّوا طورهم في الكتابة عن الدين فانَّ الابحاث الدينيَّة ليست كأبحاث السياسة وغيرها التي يجوز لاصحابها ان يذهبوا فيها مذاهب ويُخرجوها على مقتضى اهوائهم واغراضهم الشخصيَّة ويزيدوا فيها وينقصوا منها كما تقتضي الظروف امَّا عقائد الدين وتعاليمهُ فهي وديعة تسلَّمها الانسان من ربِّهِ وسيطالب عنها يوم الدين فعليهِ ان يُضحِّي النفس والنفيس في صيانة تلك الوديعة والويل لهُ كل الويل اذا فقد منها شيئًا. وشرف اللبنانيين انما هو امانتهم في حفظ ذلك الكنز الثمين مدَّة اجيال متوالية فننشدهم الله ان يتعقَّبوا آثار اجدادهم ولا يحيدوا عن امثالهم الصالحة فينالوا ما نالوهُ من الفخر في هذا العالم ومن المجد الاثيل في دار البقاء.

نخبة

من امثال القس حنانيا منير

بقلم جامعها وشارح غريبها عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تتمة لما سبق)

الحرامي والجهل ونحو ذلك

الحرامية بينادوا على اصحاب البيوت (١ = حرامي البيت ما بيتَّطَر (٢ = الرزق الداشر بيعلم الناس الحرام (٣ = الله يستر الكرم من الناطور = خاص العنب وقلَّت قيمة الناطور = شحّ الحليب وقلّت قيمة الراعي = الراعي اذا اجتهد بيحلب التيس = بعيق الجدي ولا سواد العنقود (٤ = رعاية شهر تَيْسَنة سنة (٥ = قل له: ثور. بيقول لك: حلب (٦ = رفيقك على الطاحون زحمة = يا رايح على الطاحون خيّط بغير هذه الملّة = حبة القمح بتدور بتدور وبترجع للكور (٧ = عمرك لا ترافق ولد. ان وقعت حمارتك بيضحك عليك وان وقعت حمارته يبكي عليك = اين بيهرب الديب من الشمس = اين بتهرب الشمس من القصَّارين (٨ = ما بيجي التِّرياق من العراق حتى يكون ملسوع الهوى فارق = ١٠ اصبحت الجمرة رماد حتى صيَّرت لحم الجمل هميس (٩ = الشمس شارقة والناس قاشمة (١٠ = اصبر يا كديش حتى يطلع الحشيش (١١

١) الحراميَّة جمع حرامي وهو اللص عند العامَّة ولا يستعملون غيره

٢) بيتَّطَر اي يُنطَر ويُراقب

٣) الداشر المهمل والمتروك. ويقال ايضاً «الرزق السايب الخ» وهي بمعناها

٤) والمعنى ان صوت الجدي يكون في اوائل الربيع فيبشّر بقرب احسن الفصول. وسواد العنقود يكون في آخر الصيف فيبشّر بقرب اقبح الفصول وهو الخريف

٥) تَيْسَنة اي الصيرورة تيساً

٦) يُضرب لمن لا يعقل الامور

٧) الكور في عرف الطحَّانين الوعاء الذي يوضع فيه الحب ويجري منهُ الى الرحى لتطحنهُ

٨) القصَّار الذي يبيض الثياب وينقيها

٩) هميس اي ناضج ومحترق

١٠) قاشمة اي ناظرة

١١) الكديش البرذون. ومثلهُ قولهم: استبك بالوعد يا كمّون

الحظ والاعتدال

صاير لك حظ على قلة دين (١ = بيطعم الجوز للذي ما لهُ سنان = الزائد اخو الناقص=قلنا لك: قمّره ْ. ما قلنا لك: احرقهُ (٢= قلنا لك: عمّده. ما قلنا لك: اخنقه = ستوك سيد لا تزيد (٣ = ستوك راجح قال: انشاء الله نصل للحق = لا يموت الديب ولا يفنى الغنم (٤

السيف والغياب

الذي بياكل من خبز السلطان بيضرب بسيفه = ان مـا قطع السيف بيقطع ضاربه = سيف الدولـة طويل = السيف وجهه ابيض = لا للسيف ولا للضيف ولا لغدرات الزمان = مـا بيصل الينا السيف ألّا حديدة= قد تُطفأ النار بالتراب ويفنى الحبّ بالغياب=غيبوا عن النواظر تسلاكم الخواطر=ابعدوا تانحبكم واقربوا تانسبكم(٥

منتخبات مختلفة

قد يعمل الجاهل بنفسه ما يعمله العدوّ بعدوّه = الجاهل عدوّ نفسه = من حفر لاخيه حفرة وقع فيها =من اقرّ بذنب لم يعمله أوجب الذنب عليه = من اقرّ بذنبه لا ذنب عليه = التكرار بيأثر في الحجار = المداومة تقطع خرزة البير (٦ = قال: ليش بتبكي وانا عمك. قال: كل بكايي لانك عمي = ايّ من اخذ امي بسميه عمي (٧ = قال: من يشهد للعروس. قال: امها والماشطه=قال: من بيشهد للثعلب. قال: ذنبته= فيه

---

١) اي انهُ رزق ما ليس باهل له

٢) قمّر الشيء اذا شواه على النار حتى احمرَّ وقسا. يُضرب للاعتدال في الامور. ومثلهُ المثل التالي وهو يصلح للذين يمدّون بالتنطيس

٣) السيد عند العامة تسهيل سيّد

٤) ومناه الاعتدال بالافراط والتفريط

٥) (تا) عند العامة مخفف حتّى

٦) خرزة البئر حجر ضخم مستدير مثقوب في وسطه يوضع على فمها

٧) العم عند العامة زوج الام ويعرف عند العرب بالراب والخالة زوجة الاب وتُعرف في اللغة الفصحى بالرابّة

كلام بدّه شاهد وكلام شاهده منه وفيه (١ = مـا احد بينادي على زيته عكر = الف دقّ دقّ ولا سلام عليك = مكتوب على باب البوّابة ما عمر حرير شكرته كبّابة (٢ = مكتوب على ورق الخيار : اللي بيسهر الليل بينام النهار (٣ = مكتوب على ورق الفريك (٤ : شريك ما بيحب شريك = مكتوب على سروج الخيل : اللي بينام النّهار بيسهر الليل = موضع الضيق يساع الف صديق = دخّل زكرته بين الضروف (٥ = زاد واحد يقري اثنين = من حيّ فطيمـه في سوق الغزل (٦ = اجرا بيطروا خيل السلطان مدّت الخنفسة رجاها = التلم الاعوج من الثور الكبير (٧ = اذكر الذيب وهيّ القضيب = الجيد عند ذكره بيبان (٨ = قال : الانسان كلما كبر بيتعلم . قال : بيموت وما بيتعلم = عاشر كثير تسمع كثير (٩ = اجاه المنهري لعند المنبقط يطلب دوا للعافية (١٠ = مثل المعزى بلا كلب = عنزة ولو طارت = الصدق في اقوالنا اقوى لنا والكذب في افعالنا افعى لنا = الرطل بدّه رطل ووقيّه (١١ = الوقية على البعد قنطار = شيل الطبق حطّ الطبق حق الغنم موضعه ١٢) = حق الدبس ما بيسد . عيسى بدّه تز على الدولاب يغنّي (١٣ = الحيـة قبل الناطور = قلبي من الخنجور منجور ومن الحامض لاوي

---

١) (بدّه) اي يحتاج الى . و (منهُ وفيه) اي ظاهر من مجرّد القول به

٢) الكبّابة التي تشتغل بجمع الخيوط الحريريّة كُبَبًا

٣) الخيار القثّاء وهو المعروف بالمقتي عند العامة

٤) الفريك حب الحنطة قبل ان ينضج

٥) الزكرة ظرف صغير من جلد تُتخذ وعاء للسمن وغيره . والضروف تصحيف الظروف

٦) (من حي) بمعنى (كم من) . والمعنى كم ولد صغير قد فُطم قريبًا يشتغل بالغزل

٧) التلم مصحّف الثلم وهو طريق الحراث

٨) الجيد محرّف الجيّد عند العامة

٩) والمعنى كثرة المعاشرة توسّع الخبرة

١٠) المنهري والمنبقط عند العامة بمعنى السقيم الضئيل

١١) وبمعناه لبهدنا : الثوب الوسخ بدّه مخباط ثقيل . والمخباط عند العامّة هو مـا يضرب به القصّار الثوب لينظفهُ

١٢) شيل اي ارفع . وحق الغنم بمعنى ثمنه وهما من الفاظ العامة . والمعنى انك مهما بالغت في اكرامي وضيافتي يبقى حقي موضعه ومطلوبي منك يجب ان آخذه

١٣) والمعنى ان الكرم لا ينتج ما يفي المطاليب لكنّ الحرير يكفي ويفي

= اجاك من يعرفك يا خروب = كيف بيتدبل مثل العروس الجاية (١ = كيف بيتقنبر مثل الديك على المزبلة (٢ = الكلام مـا هو على اكل الخروب بل على تصريفه = بيقبش مثل السكّاف الاعمى (٣ = الطمع ضرّ ما نفع = لا تبيع رخيص. قال: لا توصي حريص = اعطى الخبز لأبو طبر (٤ = جوعة وشبعة مثل كلاب حماتا = كل شي من الدليل غليل (٥ = نصبة كانون الأول احسن من نصبة عام اول (٦ = انا امك لاعتل همّك (٧ = اعطى للدب حرير يكبّ (٨ = الجرّة مـا كل وقت تنزل على البير وبتطلع سالمة = اشتهينا الدجاجة اكلناها بريشها = الذي مـا بيشوف من المنخل الاعمى خير منه = مثل الدجاجة منقاره بولاد (٩ = شوك الخيار بيوذيه (١٠ = دورة وملاقية (١١ = لا تقول لي ولا بقول لك اسأل قلبك بيدلك = نحن عتقنا وصرنا مثل خلّ البكر. والذي عتق بالمحبة ما عاد له ذكر (١٢ = على هذا الحمّص ما فيه عيد (١٣ = ربّ كلبك يعقر جنبك = بتعمل عمايلك وبترخي شمايلك (١٤ = ان ضاعت الامانات اعمل مخزنك عبك (١٥ = اكبر منك بيوم اخبر منك بسنة = ايد الفاضية مجوّية (١٦ = الصيف لو

١) يتدبل اي يكسر جفونه. وفي اللغة تذبّل اي تغنّج ٢) يتقنبر يمشي كالقنبرة كبرًا وخيلاء ٣) قبش الاعمى ونحوه اذا تلمّس الشي بيده ليميزه

٤) والمعنى سلّم الاخبار لمن يذيعها. والطبر شبه فاس يتخذ سلاحًا يقال لحامله ابو طبر

٥) الدليل عند العامة هو البذار المتفرق وكلما كان متفرقًا يقال له عندهم دليل وضده الدبي. والمعنى ان البذار المتفرق تكون غلته كثيرة لانفساح المجال لزرعه بالنمو والتغذية

٦) النصبة عند العامة النقيلة اي الشجرة الصغيرة التي تُغرس لتكبر وتنمو. والمعنى ان احسن وقت لزرع النباتات ولاسيما التوت في شهر كانون الاوّل

٧) تقول العامة عتل همّه اي تكدّر لاعتلائه وخسارته ونحو ذلك

٨) كبّ الحرير والغزل اذا جعله كببًا اي مجتمعات على شكل مستدير ونحوه

٩) البولاد عند العامة مصحّف فولاذ والمعنى انه ضعيف يحب الضرر

١٠ الخيار القثاء ويضرب هذا المثل للنحيف الرقيق البشرة الذي يوذيه اقل شي

١١) الدورة الطريق المستطيلة. والملاقية والقادومية الطريق المختصرة والمعنى الطريقان يوصلان الى محلّ واحد ١٢) الخل البكر عند العامة الذي كان نبيذًا وصار خلًّا وهو حامض لذّاع

١٣) مرّ شرحه في المشرق (٩ : ٥٥٨) ١٤) العايل عند العامة بمعنى الاعمال

١٥) العبّ عندهم داخل الثوب في الصدر

١٦) اي اليد الفارغة رائحتها كريهة. والمعنى ان القادم من سفر يجب ان يحمل الهدية الى اهله او اصحابه

كان اه امّ بتبكي عليه = بيابق للشوحا جوخا والمجار قبقاب (١ = ضحك بلا عجب (ويقال بلا سبب) من قلّة الادب = الطويل بياكل تين والقصير بيموت حزين = مثل العرّاسة بيروحوا على درب وبيجوا على درب (٢ = يا اعور شدّ على الاعور قال: انت سيدي هِق (٣ = فلّاح مكفي سلطان مخفي (٤ = منافس المقمونة عند حمير المقرة (٥ = البصل اكل الأُصل. خبز وماء اكل العلماء. قال لهم: كله حرفات لقلّة الدامات (٦ = لا تاكل خبزك الّا بالعسل = لا تنام الّا على سبع فراش (٧ = كديش الناعورة غمي رشّ له ماء. قال: متى طيلع ماء نرشّ عليه (٨ = وكّل القط بالجبنة = شو علمّك الذوق. الذي معلّق فوق = ناس بياكلوا الدجاج. وناس بيوقعوا بالسياج = الطبع غلب التطبُّع = مغلوب من طبعه = دراع من الارض يكفي اهل الارض = بيعض على الشندابه بيموت الحمار في صنّين (٩ = اذا كبر ابنك خاويه (١٠ = طامت دقن ابنك احلق دقنك = لا تازّ الندل بتعلّمه المراجل (١١ = علّمناه الشحادة سبقنا على ابواب الكبار = المليحة بحظ والوحيشة بحظين = الحرّة عاديها والسفيهة داريها = الضرّة مرّة = يا كنّة غدا بتصيري حماة = الجمرة ما بتحرق الّا موضعها = يا دلّ الخزانى عند المتفرجات = عندي كلامك مثل دخان الغليون (١٢ = مثل شرب الدخان لا اوله

١) يابق عند العامة اي يحسن. والشوحا هي الحدأة والجوخة بمعنى الجبّة لانها تتخذ من الجوخ. والقبقاب حذاء خشبي مرتفع عن الارض معروف

٢) العرّاسة اهل العرس. ومن عادة الاعراس عندنا ان الذاهبين لاستحضار العروس يسيرون على طريق يخالفونها برجوعهم وذلك من الخرافات الشائعة

٣) تقول العامة: انت سيدي هق. اي ألستَ انت كذلك ونحوه

٤) والمعنى ان الفلّاح الغني كالسلطان المخبأ

٥) المنافس عند العامة بمعنى الاذواق في الاكل ونحوها. والمقمونة التي تتأنّف من الشيء

٦) والمعنى ان من لا يريد اطعام ضيوفه الادام يرغّبهم باكل البصل والخبز ونحوهما مما هو قليل النفقة

٧) يضرب هذا المثل لمن يحب ان يرتاح ويطمئن

٨) الكديش البرذون والناعورة دولاب الماء المتّخذ للسقي. وطيلع كأطلع بمعنى أخرج

٩) الشندابة نباتة شائكة تأكلها الجمال والحمير والبغال ونحوها وهو مثل البخيل الكثير الحرص

١٠) خاويه اي كن أخاً له

١١) لزّهُ اي حثّهُ واكثر سرعتهُ. والمراجل بمعنى البسالة والشجاعة

١٢) ويقال: عندي كلامك مثل دخان الطابر. وهو معروف. والغليون انبوب التدخين

بسم الله ولا آخره الحمد لله = مـا عمره طحّان بيغبّر على كلّاس (١= ضربني وبكى سبقني ولشتكى = الذي يروح وحده لعند القاضي بيجي راضي = ضربتين على الراس بتعمي = حملة واختها ولا تنام تحتها (٢ = لا تندم على ما فات = عينه فارغة (٣ = لا تطلب شي مستحيل = لا تصدّق كل ما يقال = ان فاتك عام ابشر بغيره = من فوّت حجر جاء براسه (٤ = خيار العطاء ياامير حاضر بحاضر = من كان له عادة سموه ابو عوايد = العادة خامس طبيعة = ألف امّ تبكي ولا امي ينزل لهـا دمعة = مثل البرد سبب كل علّة = ما فيه ولا شجرة الّا هدّها الهوا = اول بوّ : مـا فيه شجرة وصلت للجوّ . وثاني بوّ : سبحان من حرم الاعمى من بصيص الضوّ . وثالث بوّ : يخيّب كل من يكون محضره سوّ = كل شجرة لها فيّ . وكل بلد ولها زيّ = التأني فيه السلامة = كل عجلة من الشيطان = الف كلمة « تفضّل » ما بتسوا حطّ الطبق (٥ = الآخذ واحد والمتهمين كتار = يا ما في الحبوس ناس مظلّمين = صيعك بايدك كلّهم سوا (٦ = بتركب الجمل وبتمشي وبتقول : احد ما شايفني = عين الحبّ عميا = من شاف احبابه نسي اصحابه = العنزة بنت ليلة بتسوّي موضعها = كل عنزه بتعرف ابنها (٧ = بيركض مثل الارنب بالطلوع (٨ = ان رحنا على القبور يلحقنا الف داقور (٩ = ألف عدوّ برّا

---

١) والمعنى ان الطحّان الذي يشتغل بالطواحين والكلّاس الذي يبني الكلس يتغبّران

٢) والمعنى احمل الاشياء على قدر طاقتك ولا ترزح تحت الثقل

٣) يضرب هذا المثل لمن يُعين اي يصيب بالعين ولذلك اعتادت العامة ان تقول عند ذكر تخشى عليه من العين (يخزي العين) تخلُّصاً من الاصابة بها

٤) فوّت . اي ترك واعرض عنهُ

٥) تفضّل كلمة تقال للدعوة الى طعـام . والمعنى ان الدعوة لا تقوم بكثرة الكلام بل باعداد الطعام

٦) يضرب للفرق بين الامور بناء على ان اصابع اليد ليست متساوية بل بعضهـا طويل والآخر قصير . والصّبيع عند العامة بمعنى الاصابع وكانّها محرّف اصابيع . والإيد محرّف يد

٧) ويروى لههنا : كل عنزة بتعرف قطيعها . اي كل يسير مع حزبه

٨) يضرب لمن يسرع . واذا كان بطيئاً يقال : يركض مثل الارنب بالنزول لانهُ يتدهور ويتعثّر

٩) الداقور المانع والعائق . والمعنى اذا انفردنا لا نخلو ممّا يشغلنا

الباب ولا عدو جوّا الباب = عرّف الحمار حمرنته لئلا يدعوك مثله (١ = يا عنتر من عنترك. قال: ما احد ردّني = قال: عنتر بيكسر الف. قال: بضهره الف (٢ = مثلما اشترينا بعنا والمكسب عليكم حرام = جبل على جبل ما بيلتقي ابن آدم على ابن آدم بيلتقي (٣ = الإجر ما بتدبّ الّا موضع الذي تحب (٤ = الدنيا هلّي فيها بيكفيها ومن حفر لاخيه حفرة وقع فيها (٥ = ان انصف الدهر يوم معك ويوم عليك = ابنك لا تعلّمه الدهر بيعلّمهُ = لعب الايادي من قلّة طراوة اللسان = مثل قيمة المعاري عند العرب (٦ = ساعات البسط عمرك لا تفوّتها وان جاعت النفس تبقى تقوّتها = المجنون ما له غير اهله = الجنان ما بدّه كتّب حجّة (٧ = المجنون حجته برقبته = الجنون فنون = ما فيه مجنون غير الذي بيخذوه لقزحيا؟ (٨ = ابن عشرة ما بيموت ابن تسعة (٩ = لا تقول: للعريان اين ثيابك ولا للجوعان: اين زادك = هنيّال المتهوم باري (١٠ = ما فيه ولا جترولة الّا بياكلها الكاب (١١ = قل له: تينة بيقول لك: جميزة (١٢ = عديم ووقع بسلّ تين (١٣ = مثل اليهود بيركض على اخفّ الصنائع = نزّل ابنك عالسوق

---

١) الحمرنة والتيسنة والجمدنة والقنبرة والعنترة وغيرها مشتقّة من الحمار والتيس والكلف الجمدة والقنبرة وعنترة وهي كثيرة عند العامة
٢) بظهره الف اي عندهُ رجال يشدّون ازرهُ
٣) والمعنى ان الانسان لا بدَّ لهُ من الاجتماع بابناء جنسه فيماتبهم على ما فعلوه معهُ وان كان الجبلان لا يجتمعان
٤) الإجر تحريف الرجل وهو شبيه بقول الشاعر: الى حيث يهوى القلب تهوي بهِ الرجلُ
٥) هلّي عندهم بمعنى هذا الذي
٦) المعاري عند العامة البنّاء ومعلوم ان البدو لا تبني بيوتًا من حجر فلا تعتبر البنّائين
٧) الجنان هنا بمعنى الجنون وتستعملها العامة كثيرًا. وكتب بالشيء حجة عندهم اي ثبّته وتملّكهُ ونحو ذلك
٨) اي ليس كل مجنون الذي يؤخذ الى قزحيا بل يوجد جنون خفيّ. والمشهور عند اللبنانيين ان كل مجنون يؤخذ الى منارة في دير قزحيا الشهير في شمالي لبنان يؤمل شفاؤهُ من جنونهِ
٩) اي ان الموت مكتوب ومحدود
١٠) هنيّال منحوتة من قولهم: هنيئًا لهُ. والمعنى هنيئًا لمن يكون غير مذنب ويتّهم
١١) الجترولة عند العامة ما يقع من الخبز في التنّور ويحترق او يتكتّل ونحو ذلك
١٢) يضرب لمن لا يقتنع الّا بما تصوّرهُ في ذهنهِ. ومثلهُ قولهم: عنزة ولو طارت
١٣) العديم الفقير والمعنى ان الفقير اذا وصلت يدهُ الى مطعم يأكلهُ من فورهِ

وشوف من بيعاشر = الزرع رقيق واجاه الفريق = كثير النط قليل الصيد = من خفّف راسه بيتعب رجليه = كثرة الكارات قلة البارات = نية الصياد بمخلايته = ترل الفلّاح على المدينة ١٠ استحلى الّا الدبس والطحينة = ابعد عن الشر وغنِّ له = لا بقاتل ولا بلم حجار = من طلب الزَوْد وقع بالنقص = من رادك ريده (١ ومن راد بُعدك زيده = اعطيني قرصي وشوفي حرصي (٢ = يجبرها قبل ما تنكسر = ضربة الكف قبل كسرة الابريق = لا لنا بقر ولا بنغدي على سَحَر (٣ = يا ليتنا خسرنا مية ولا غنّينا هالغنيه (٤ = قطّ الخرباني بيخاف من طَبق الباب (٥ = حط ابنك على الحيطان وقول: هذه طرايق الشيطان = الذي بيعمل جمَّال بيعلّي باب الدار = كيف حال اولادك. قال له: هم قدّامك = من طالت علّته كان القبر مأواه = شو بدّه الاعمى قال: جوز عين (٦ = اذا قعدت مع العوران اعورْ عينك = عرْج الجمل من شفته = بيتوقّى حاله مثل العين الرمدانة = المقبوض خير من الموعود = هاك الغبرة ورثّت هالوحلة (٧ = من وشى لك وشى عليك = حاميها حراميها = فلان كرم على درب (٨ = مثل النوَر قلّة وبسط (٩ = أنا بشم ريحة ايدي بترجع روحي ليّ = هل يخرج من البلّان مسّاس (١٠ = بدّه يبودقني بالبودقة (١١ =

---

١) ريده فعل أمر من أراد

٢) اي اعطيني حصتي وانظري الى محافظتي عليها

٣) بنغدي ويقال: منغدي. اي نذهب غدوةً

٤) ويقال: يا ريتنا. عوض يا ليتنا. وهي محرّفة عنها. يضرب لمن يؤمر بشي ثم ينتج عن اتمامه اياهُ ضررٌ

٥) الخرباني: اي الخرِب

٦) شو بدّه. اي: ايّ شيٍ بودّه. والمعنى ماذا يريد... وجوز مقلوب زوج

٧) هاك: أي هاتيك. وها: اي هذه

٨) يضرب للرجل الكريم الذي يقري كل من يأتيه كنب الكرم الواضع على الدرب يأكل من عنبهِ

٩) اي ان النوَر وهم الجيل المعروف الذي لا يستقرّ في محلّ يسرُّون بالفقر والفرح

١٠) ويروى ايضاً: هل يخرج من العجرم مسّاس. والعجرم العوسج. والبلّان نبات شائك لا يعلو عن الارض. والمسّاس ربما كانت محرّف منخاس وهو ما يساق بهِ البقر عند الحراثة

١١) اي يريد ان يعذبني كالفضة في البودقة. ومن البودقة اشتقوا الفعل: بودق. بمعنى عذّب

بدّه ينقل البحر بالـدَّقة = مثل القزاز متى انشعر ما بينجبر (١ = اجا ليلحقهم كان يسبقهم = مثل السلّ بلا دينين (٢ = كثير الغلبة راح على جهنم ما طاقوه (٣ = الذي سبقك فشخة سبقك كل الدرب (٤ = مثل خيال الصحرا (٥ = اذا ولدتَ فقير عليك بقراريط الخيل وزرع الشعير (٦ = الذي ما لهُ عيلة يقني لهُ كحيلة (٧ = يوم الخميس فصّل وقيس (٨ = ارحمني لارحمك . اخبز فطاير لاطعمك (٩ = عند ضيقة النفس خذ انفخ الظرف (١٠ = وقت عرسك عيزني دفّك = لسانه مثل طرطاق الطاحون (١١ = مثل حياكة الدرقلي (١٢ = تعشَّ فيه قبل ان يتغدّى فيك (١٣ = من اه عدو بالمنام

---

١) القزاز عند العامة الزجاج . وانشعر اي انشقّ كالشعرة وهو من قول الشاعر :

ان القلوب اذا تنافر ودّها   شبه الزجاجة كسرُها لا يُجبرُ

٢) السلّ وعاء من القضبان المضفورة لهُ اذنان لحمله يُتّخذ لنقل التراب ونحوهِ . ودينين مصحف اذنين . يضرب لمن كان بلا نفع

٣) تقول العامة فلان كثير الغلبة اي فضولي يدخل في ما لا يعنيه

٤) ويروى لمهدنا : الذي بيسبقك بفشخة بيسبقك كل الدرب . والفشخة الخطوة

٥) ويروى ايضاً هكذا : مثل خيال المقثي . ويراد بهِ التمثال وهو عود توضع عليهِ ثياب رجل ينصب ليخيف الطيور والحيوانات . والمقثي القثاء . والصحراء عندهم محل زرع القثاء والبطيخ ونحوه

٦) والمعنى ان من اقتنى خيلًا وزرع شعيرًا يغتني لكثرة نتاج هذين الشيئين . ومن امثال ضد هذا قولهم : اذا اردت الفقر يأتي بالعجل اياك لعب المنقلة وصيد الحجل . واياك هنا بمعنى الزم . والمنقلة لعبة معروفة (اطلب المشرق ٤ : ٥٦٥)

٧) ومن امثال عامتنا اليوم : الذي ما لهُ عيلة يقني لهُ خيلة . والمعنى اذا لم يكن عندك عيال فاقتنِ الخيل

٨) هذا المثل من امثلة النساء الخياطات اللواتي يتفاءلن بيوم الخميس

٩) الفطاير قطع عجين مثلثة تحشى بالخضر ونحوها وتخبز وتؤكل واذا وُضع فيها اللحم تسمّى فطائر وصفيحة ايضاً

١٠) ويروى لمهدنا : عند ديقة هالنفس خذ انفخ لك هالظرف . والديقة الضيقة

١١) طرطاق الطاحون خشبة تتدلّى من الكور (وعاء القمح) الى حجر الرحى وبحركتها تنزل الحبوب شيئاً فشيئاً لتطحن . ويضرب المثل بهِ لكل مهذار

١٢) الدَرَقلي عند العامة ثياب حريرية منقوشة نقشاً ملوّناً متداخلًا بعضهُ ببعض ويضرب لصعوبة الامر

١٣) اي اسبقهُ بالحذر منهُ وعاملهُ بما سيعاملك بهِ قبل ان يبتدي

يراه = على حظ الحزينة سكَّرت المدينة = مثل غراب نوح روحة بلا رجعة (١ = بيلزّق مثل البطلينوس (٢ = مثل العبد القاتل سِيده (٣ = مثل القط الحارق كنه (٤ = الحمار حمار ولو حمل خزنة السلطان = منفعة ما منه دخانُه يعمي = مثل الحمار المربوط بالشمس = اذا كثرت الاشغال فرّقها على الايام = إنسَمِت عليك كُل وتجاق عينيك (٥ = اذا كثرت اشغالك نم وخلّيها = كل دار ولها بالوعة = القناعة غنى = مراضاة المتخاّق صعب (٦ = خذ البنت من القاة والكرم من الحلّة (٧ = اقرصه بذَنبه ترى عجبه = قلنا له: ارعَ بهذه المرجة. قال. بدّي غنّي موًالي (٨ = ما على الرسول الامين الّا البلاغ المبين = البنت صندوق مقفول = ألك جوز معدود بصندرق مقفول (٩ = ألك جوز أم تقتل الناطور (١٠ = يا شمس غيبي يا كري حزّي (١١ = ما زال الشمس على ظهرك ما زال الحزّ على قهرك (١٢ = سيفه ما بيقطع اللّبن (١٣ =

---

١) هذا المثل شائع بيننا للبطيْ ومثلهُ: راح تاييب ورق للتز رجع لقاها قطّمت. وقولهم: ما بيجي التّرياق من العراق حتى يكون العليل فارق

٢) يضرب المثل بالبطلينوس وهو من اصداف البحر لما يلصّق بسرعة

٣) اي انهُ باكٍ ذليل يتظاهر بالحزن ليردّ عنهُ التهمة

٤) اي انهُ كثير الحركة يقفز

٥) تقول العامة: إنسَمت عليك. اي عُرفتَ بهذا الاسم او شُهر امرك ونحو ذلك اي انهُ عرف لدى الناس انك آكل مما فكل واشبع

٦) المتخاّق الذي لا يرضيه شيء بل يظلّ متكدّرًا عابسًا

٧) والمعنى تزوّج ابنة يكون اماها فقراء لانها تكون حريصة شغيلة. وخذ الكرم من المحلّ الواطئ لانهُ يكون خصبًا جيد النبت. والحلّة عندهم المحل الواطئ

٨) يضرب لمن لا يقتنع الّا بما عزم عليهِ. وتقول العامة: بنفسه موّال وغنّى موّاله اي عمل ما يريدهُ

٩) والمعنى لك شيء معلوم محفوظ بوعائه

١٠) ويروى لهذا: بدّك تأكل عنب يمّا تقتل الناطور. والمعنى: خذ ما تيسّر لك بدون ان تسأل عن مصدره

١١) والمعنى ان العامل ينتظر غياب الشمس ليتقاضى كراه أي اجرته. وحزّ اي داوم ونحوه

١٢) والمعنى ما زالت الشمس مشرقة فيجب ان تداوم على المشقة

١٣) يضرب لما لا ينفع

اضرب سيف تتأمر. اطعم خبز تتمشيخ (١ = العزّ للرزّ والبرغل شنق حاله (٢ = شو قالت المعزة وهي سارحة. الليلة ما مثل البارحة = الذي ما نك قدّه لا تقعد حدّه (٣ = مثل قرقدون الشجر (٤ = بيت السبع لا يخلو من العظام = مثل البياطرة كل واحد ينسف لصدره (٥ = سويعاتي كل ساعة شكل مثل البربختي (٦ = بيعاتب مثل النسوان = لا تعمل شي قبل ان تحسب عواقبه = الذي ما بيعمل خير نومه خير = عاشر الاجاويد منهم تكتسب وتزيد (٧ = امّ القاتل بتنسى امّ المقتول ما بتنسى = غب غبّ الجمال وقوم قبل الرجال (٨ = لا عسلكِ ولا تمقصيني (٩ = عوّد بطنك على رغيفين ولا تعوّد جسمك على توبين (١٠ = الدارس غاب الفارس — العروس التي بالاكليل ما بتعرف لمن بتصير = بيبغض المفتاح من حيث له اسنان (١١ = مين مثل درب حلب (يراد بهِ طوله) = قال: متى تقوم القيامة. قال: كل شي له علامة = لا تعاشر المنّان ولا تدخل بيت الظنّان (١٢ = عير واستعير معيار كبير (١٣ = تهفى ولا يردها بليق (١٤ =

---

١) والمعنى ان الامارة تؤخذ بالشجاعة والمشيخة بالكرم. وتمشيخ صار شيخاً

٢) البرغل حنطة تُسلق وتجفّف وتتخذ مثل الرزّ. ويقال: فلان شنق حاله اي ندم على عمله وقتل نفسه

٣) يقال: مانك اي لست انت. وقدّه اي مثله

٤) القرقدون والقرقدان السنجاب وهو مشهور بالخفّة والرشاقة

٥) والمعنى ان كلّا يجرّ النفع لنفسه كالبياطرة الذين عند تسوية حافر الدابة يكشطونها بآلة لجهة صدرهم

٦) السويعاتي عند العامة والمسوذن من يكون كثير التقلّب سريع التأثر كثيراً. والبربختي عندهم الحرباء ويضرب المثل فيها بالتلوّن والتغيّر

٧) ويروى ايضاً لديهم: عاشر الاجاويد منهم تكتسب وتزيد. عاشر الانذال بترجع لا بكسب ولا راسمال

٨) يضرب لمن يأكل كثيراً ويقوم قبل رفقائه عن الطعام

٩) تقول العامة عقصت النحلة والعقرب ونحوهما اي لذعت. والمعنى لا تنفعني ثم توذيني

١٠) والمعنى ان من اعتاد اللابس لا يستطيع ان يستغني عنها. واما الآكل فيغيّرها ولا يتأذى

١١) يُضرب للبخيل الذي يخاف من اسنان المفتاح ان تقضم خبزه

١٢) المنّان من يذكر صنيعته كثيراً. والظنّان الكثير الظنّ بالناس. وكلاهما مذمومان

١٣) المعيار عند العامة بمعنى العار. ومن اساليبهم: هو مثل شباط بيعير وبيستعير وبيضلّ ناقص. اشارة الى ايّام العجوز التي يستعير لها تمامها من اذار ومع ذلك يكون انقص الشهور اياماً

١٤) تقول العامة: هفي الشيء اي هلك وتاه. وبُليق اسم كلب

الذي بدُه يخزي شيطانه يقري ضيفانه = الكمال بتمام العمل = قال: شو لك بها القصر. قال: من بارح العصر (١ = اذا كان الكذب حجه الصدق بينجّي = كثّر المسألـة وقلّل التفتيش = ردّ الغائب صعب = مثـل دجاجة الغريبة كل واحدة بتنقدها نقدة (٢ = طلع الليل على قدّ الحرامي (٣ = برًّا وجوًّا فرشتلّك. حـلو ومالح طبختلّك. امّا درب التبّانة ما حبتلّك (٤ = الحسود لا يسود = منه وفيه بارك الله فيه = ما بيقيم بالاختيار غير ضرسة (٥ = المطلوب ما هو موهوب = مطحنتكم يمين ام شمال. قال: حَيلّا تهرّ طحين (٦ = عمال يزقّ صحون وما بيعرف بيت العروس وين (٧ = قلت: يَبرق يا سَلق. قال: الدورة على الذي يستطعم (٨

هذه ما وقفت عليه من هذه الامثال شرحت غريبها ووقفت بعض رواياتهـا على حسب ما هي دارجة عندنا اليوم ولا يخفى ان الامثال فلسفة الشعب ونتيجـة تجاربهم وثمرة تدابيرهم وزبدة اختباراتهم. وفيها من اساليب الحكمة وبلاغة الايجاز ما لا زيادة بعده لمستزيد. ولقد عُني بعض ادبائنا وادباء المستشرقين الجمع الامثال العاميّة في مصر وسوريّة والجزائر وغيرها واعتنى المتقدمون بجمع الامثال العربيّة والمولدة. وقد نظمهـا صاحب فرائد اللآل وفي مطالعتها ومقابلتها فوائد كثيرة. ولقد عُنيت بجمع امثال العامة ومقابلتها بالامثال الفصيحة والمولدة وربما نشرتها في وقت آخر. راجيًا من القراء الكرام ان يسبلوا المعذرة على ما زلّ به القلم في النقل والشرح وحسبي الله وكفى ع. ا. معلوف

---

١) تقول العامة: كم من الزمان انت في هذا القصر. قال: من البارحة وقت العصر

٢) يضرب هذا المثل لمن ضاع بين الناس وكان ذليلًا

٣) والمعنى ان هذا الشيء كان على قدر المطلوب

٤) برًّا وجوًّا اي خارجًا وداخلًا. وفرشتلّك اي فرشت لك. ومثلها طبختلّك وحبتلّك وهذه الصيغة كثيرة عندهم؟ والتبّانة مخلّ التبن

٥) والمعنى لا يعيد قوة الشيخ الّا الطعام. والاختيار عند العامة الشيخ

٦) حَيَّلّا اي يكفيها ونحو ذلك واصلها حي الله. وهرُّ الطحين اي نزل من حجر الرحى عند دورته

٧) زقّ الصحون اي نقلها. وتقول العامة فلان يزق صحون اي ينمّ ويفسد

٨) اليبرق لفائف من ورق الملفوف تحشى وتطبخ وتتخذ ايضًا من السلق نبات اخضر الورق واسعهُ مستطيله. واستطعم عرف الطعم

قصة اعجوبة

لرئيس الملائكة ميخائيل في ارض فلسطين

عُني بنشرها نزيل بيروت حالاً الاديب اغناطيوس كرتشقوفسكي الروسيّ

تمهيد

قد صرف العلماء الاوربيُّون نظرهم في هذه السنين الاخيرة الى البحث عن القصص القديمة المشتملة لعجائب رئيس الملائكة المعظم القديس ميخائيل . ففتَّشوا عن مصنّفيها ومكان تاليفها وكيفيّة انتقالها من الشرق الى الغرب وقد تعدَّدت ايضا المقالات الشائقة التي كتبوها في بيان مقام هذا الملاك الجليل عند المسيحيين واسلافهم العبرانيين (١. على ان بعض الكتبة قد جاوزوا الحدود وارتأوا الآراء الغريبة الشبيهة بأحلام النيام فزعموا انَّ الملاك ميخائيل هو معبود البابليين الشهير جندم بردوك (٢. وهذه العجائب المذكورة يتضمَّنها كتاب من المخطوطات العربية في غوطا فريد في جنسهِ (٣ وان لم يكن قديم العهد والمرجَّح انهُ كُتب في القرن الثامن عشر في مصر كما يظهر من كتابتهِ ولهجتهِ المصريّة وهو يحتوي خبر اربعة عشر اعجوبة من عجائب رئيس الملائكة ميخائيل ويلي هذه الاخبار ثلاث عشرة مقالة ثمينة في جملتها سيرة «والدى تكلا هيمانوت اكبر قديسي بلاد الحبش» مع قصص اخرى عديدة الفوائد . وكل مقالة من هذه المقالات تبتدئ وتُختم بالمواعظ والاعتبارات المنقولة عن الكتب المقدَّسة واقوال آباء الكنيسة الشرقيَّة وفي اثنائها تذكر اعجوبة صنعها رئيس الملائكة الطاهر بتوسّلات المؤمنين

وقد كنَّا في العام الماضي نشرنا في نشرة روسيَّة (٤ ترجمة احدى هذه العجائب الوارد خبرها في نسخة غوطا فأحببنا ان نرويها هنا في مجلَّة المشرق بنصّها العربي . وقد زادنا رغبة في ذلك

---

١) اطلب الكتب الآتية :

W. Lüken : Michael. *Eine Darstellung und Vergleichung d. jud. u. d. morgenl. christl. Tradition vom Erzengel Michael* (Gottingen, 1898) = E. Amélineau: *Contes et romans de l'Egypte chrétienne* (Paris, 1888) = E. W. Budge: *Saint Michael the Archangel* (London, 1894)

٢) راجع كتاب شرادر وونكلر في الكتابات المسماريّة والعهد القديم :(Schrader-Winkler: *Die Keilinschriften u. d. alte Testament*, 376-377)

٣) اطلب قائمة مخطوطات غوطا Pertsch: *Die arab. Handschriften der Hergl. Bibl. zu Gotha*, B. IV, 549-550)

٤) وهذا اسم النشرة المذكورة : (Zapiski Geografitcheskago Obchtchestwa, XXXIV, 1-12)

انَّنا وجدنا هذا الخبر في احد مخطوطات خزانة كليَّة الآباء اليسوعيين الشرقيـة يحتوي اخبارًا وعجائب للقديسين كُتب في ماردين سنة ١٧٢٦. وفي هذا الكتاب ثلاث عجائب للملاك ميخائيل وكلّها مذكورة في نسخة غوطا الّا انَّها هناك اوسع واطول . وهذه النبذة التي ننشرها هنا تتناول في الاصل من الصفحة السابعة الى الخامسة عشر وقد رويناها في لهجتها العامية لم نصلح منها الّا بعض الاغلاط الظاهرة. والمقصود من نشرها خدمة الآداب المسيحيَّة وبيان ما لقدماء النصارى في العربية من الآثار فضلًا عمَّا يُستنتج منها من الفوائد التاريخيَّة واثبات تأثير الكتابات الشرقيَّة في مصنَّفات الغربيين (١ وعلى الله الرجاء

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

(fol. 7ᵛ) نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه بشرح يسير من كثير من قوّات وعجائب الملاك الجليل ميخائيل رئيس الملائكة بارض فلسطين ومعاضدتهِ الى الفتى تلاصُّون (٢ ابن الارملة ونجّاهُ من يد الغنيّ. تُقرأ في اليوم الثاني عشر من شهر توت شفاعته تكون معنا الى الابد آمين

كان انسان ساكن (ساكنًا) بفلسطين يسمَّى مرقيانوس وهـذا كان غنيًا جدًا بالذهب (٣ والفضَّة والاموال والمواشي والحقول والمزروعات والقماش والعبيد والجواري والكروم والبساتين والاواني. وهذا لم يُرزق قط ولدًا بل كان لهُ ابنة واحدة. وكان ساكنًا بجوار هـذا الغنيّ امرأة مسكينة ذو (ذات) فاقة عظيمة. هذه كان لها ايمان ورجاء ومحبَّة في رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل متوكّلة على الله وعليهِ بكل قلبها تتضرَّع اليهِ في كل حين قائلة: يا رئيس الملائكة ميخائيـل أَعِنّي وساعدني وانظر الى مسكنتي وشقوتي يا أيها المبتهل الى الله في الخليقة ان تعطيهم قوتهم في كل يوم اسألهُ من اجلي انا المسكينة ليعطيني رزقًا لتزول عني هذه الفاقة العظيمة. وهذه المرأة كانت تدخل (fol. 8ʳ) الى بيت ذلك الغني وتقضي اشغالهم وتخدمهم وتأخذ اجرتها تستعين بها على قيام اودها

١) اطلب مقالة العلّامة كوهن Kuhn: *Zur byzant. Erzaelungslitteratur* (Byzant. Zeitsch., ١)

٢) من اليونانية (θαλάσσιον) ومعناها البحريّ وسترى آنفًا سبب تسميتهِ بهذا الاسم

٣) في الاصل «دهب وهدا» باهمال الدال وقس عليهِ في الباقي. وكذلك لا يعجم الكاتب الياء في جواري واواني. ويكتب الالف المقصورة على صورة الالف الممدودة نحو يسمًا. ويكتب الهمزة على صورة الحروف نحو امراة الى غير ذلك مما اكتفينا بالاشارة اليهِ

فلما كان بعض الايام حملت تلك المرأة المسكينة فلمّا دنا يوم ولادتها اتاها المخاض وكانت في شدّة من الطلق وان الانسان الغني شعر بذلك فقام مسرعًا وصعد الى سطح بيتهِ لانهُ كان مطالًا (مُطِلًّا) على منزل تلك الامرأة المسكينة ووقف يسمع ما تقول. واذ هي تصرخ قائلة: يا رئيس الملائكة ميخائيل عيني (أعنّي) في شدّتي لملمك بي ان ليس لي احدًا (احد) يترأف عليّ يا سيّدي في هذه الساعة الصعبة لاني بائسة حقيرة فلا تغفل عني بل هلمّ اليّ عاجلًا وكن لي معينًا في شدّتي. وكانت تلك المرأة تقول هكذا والغني يسمعها من كوّة سطحه. ففتح الله عيني قلبهِ ورأى السيّد المخلص وميخائيل وغبريال يتبعانه فأتوا وجلسوا (fol. 8ᵛ) تحت سقف منزل الامرأة وانّ ميخائيل سجد امام المخلّص وهو سايلًا (سائل) له قائلًا: اللهمّ الرؤوف الرحيم محبّ البشر تحنّن على هذه الامرأة المسكينة وخلّصها من صعوبة هذا المخاض فقد كابدتها مشقّة عظيمة ارحمها يا ربّ وخلّصها. اجاب السيّد المخلص وقال: يا صفيّ ميخائيل ووكيلي المؤتمن سوف يكمل لك كل ما تسأل. وانّ السيّد المخلص مدّ يدهُ الالهيّة وباركها فوضعت للوقت وولدت غلامًا وان الملاك المرحوم سأل السيّد وقال: انت يا رب حياة الكل تدرك رحمتك هذا الغلام المولود وسهّل له معيشتهُ. وان المخلص بارك الغلام ومدّ اصبعهُ الماسك العالم كلّه الى دار ذلك الغني وقال: ان غنى هذا الانسان وأيسارهُ ونعمتهُ تعود الى هذا الغلام المولود وهو الوارث لجميع ما ادّخرهُ. وان الغنيّ لما (fol. 9ʳ) سمع هذا الكلام جزع قلبهُ وهاع جدًّا وازداد خوفًا وقال في نفسهِ: هذا الكلام حقًّا من الله وهؤلاء ملائكة الله وحقًّا ان مالي وذخائري وكل رزقًا (رزقٍ) لي سوف يصيروا (يصير) الى هذا الغلام من بعدي وهو يكون وارث لنعمتي وخيراتي

.. ونزل من سقف بيتهِ حزينًا وصار يتحيّل في اخذ الغلام من امّه ويعمل (ليفعل) بهِ حسب مكر قلبهِ ونيّتهِ الرديّة الذي (التي) لا يتم (تتمّ) لهُ وبعد ذلك مضى للطفل شهرين (شهران) من عمرهِ فاستدعى الرجل الغني الامرأة المسكينة وقال لها: أيّتها الامرأة انت تعلمني (تعلمين) انهُ ليس لي ولدًا ذكرًا (ولد ذكر) سوى ابنة واحدة وانا اظن انني لا اعود انتج ولدًا الى الابد والآن أعطيني هذا الغلام اجعلهُ لي ولدًا ان له في قلبي محبّة عظيمة الهيّة والذي ادّخرته سيرته (صيّرتهُ) الى ان اجعلهُ الى هذا مع ابنتي. والذي قضاهُ هذا الغني بكلامه فعلهُ الله في سابق علمهِ (fol. 9ᵛ) بقول فاه (فيهِ)

الصادق الذي لم يخرج منـه قطّ كذب

وان امهُ لمّا سمعت هذا الكلام قالت للغني: كيف يكون هذا يا سيدي وأعطي لك ولدي الذي اتعزّى به في حياتي . فقال لها: خير لك ان تُعطيه كي يعيش من هذه الايسار والغنى اكثر مما يعيش عندك من الفاقة وتجدي (وتجدين) انتي (انتِ) ايضاً شي تنتفعي (شيئاً تنتفعين) به وتقومي (وتقومين) بأودك ولولا محبّتي لولدك لكنت اطلب غيره . وانهُ مكث يكرّر هـذا الكلام على مسامع هذه الامرأة المسكينة عدّة دفوع فأذعنت لقوله واجابتهُ : ماذا تعطيني عنهُ . فقال لها : عشرين دينار (دينارًا) . وان الامرأة اعطته الطفل وسلّم اليها الذهب

فقام مسرعاً وأحضر تيس (تيساً) من الغنم فذبحهُ واخذ جلدهُ وجعل الطفل داخلهُ ورماهُ في البحر قائلاً: هوذا قد قتلتُهُ واسترحتُ منهُ . وكان يظنّ ان وحوش البحر (fol. 10r) تاكلهُ عاجلاً والله الصالح محبّ البشر الرحيم ورئيس ملائكته المقدّسين ميخائيل حفظوا (حفظا) الغلام ولم يلحقهُ سوءً البتّة ولا اهلكهُ (اهلكتهُ) دوابّ البحر المفسد . ولم يزال (يزل) سائرًا في ذلك الزق وملاك الرب يهديه الى ان وصل الى كورة بعيدة فرمتهُ الامواج الى جنب جزيرة خال (خالية) ولم يلحقهُ شيا (شيءٌ) من السوء بقدرة الله تعالى عزّ وجل واعانة رئيس الملائكة ميخائيل . ولم يزل الزق واقفاً على شط البحر وملاك الرب حافظاً لهُ الى ان اتى راعي غنم الى هناك يسقي غنمـهُ فرآه واقفاً على شط النهر فبادر اليه بفرح عظيم يظنّ انّ داخله مال (مالًا) . فلمّا فتحهُ وجد الطفل داخلهُ حيًا لم يمت فمجّد قدرة الله الفاعل كل شيٌ وصرخ قائلاً : كبير يالبصون اللهم ان امورك عجيبة وكلًا بحكمك صنعت . ثمّ اتى به الى زوجته وربّتهُ ودعا اسمهُ تلاصُون اي اني وجدته (fol. 10v) في البحر

فلما انقضى له سنين (سنون) شاء الرب تبارك وتعالى ان يتمّ قوله الصادق بما قضاه على ذلك الصبي وان ذلك الغني سبب (تسبَّب) له سفر الى تلك الجزيرة الذي (التي) فيها الراعي كان وجد الطفل في الزق وفيما هم سائرين (سائرون) في الطريق اعني الغني وعبيده امسى عليهم الوقت فالتجوا (فالتجأوا) الى تلك الجزيرة وان الراعي استضاف بهم واجلسهم في بيته وامر تلاصون ان يهتمّ لهم بما ياكلوه (يأكلونهُ) لان الفتى كان محوّلًا على مال الراعي كلّه ولم يعرف غير كسرة ياكلها . وان الراعي بدأ يدعو الفتى

قائلًا : يا تلاصون اصنع كيت وكيت يا ابني تلاصون اصنع للقوم كما ينبغي لانهم روساء. وان الغنيّ لما سمع الراعي يدعو بهذا الاسم تعجّب كثيرًا وقال له : ما معنى هذا الاسم يا اخي. قال له ذلك الراعي : (fol. 11ʳ) اتّفق في هذا الفتى امرًا عجيبًا (امر عجيب) وهو انني لما كنت في بعض الايام مجتازًا بشط البحر في هـذه الجزيرة اذ وجدت زقّ جلدٍ مربوطًا ملقى فأسرعتُ اليهِ بفرحٍ اظنّ انهُ مالٌ فلمّا فتحتهُ وجدتُ فيهِ هذا الفتى فعلمتُ انّ ذلك تدبيرًا (تدبير) من الله الذي أتى اليّ هاهنا فأخذتهُ وربّيتهُ ودعيت (ودعوت) اسمهُ تلاصون اي اني وجدته في البحر. ولا شك رجل شرير وامرأة شريرة فعلوا (فعلا) بهذا الطفل هكذا لقلّة مخافتهم (مخافتهما) من الله. وهوذا يا سيدي الارخن (١ قد عرّفتك بجميع خبره

وان الغني لما سمع هذا الكلام بُهت جدًّا بخوف عظيم وكان يقول في نفسهِ : فهذا حيّ الى اليوم ؟ . وحزن جدًّا وامتلأ غيظًا وحنقًا على الغلام وقال للراعي : اصنع معي (fol. 11ᵛ) خيرًا ومعروف (ومعروفًا) ايهـا الرجل المبارك وتُعطيني هذا الفتى لاني اراه شُجاعًا قويًا وقد احببته جدًّا واريد ان اصيّرهُ لي ولدًا بل واعطيهِ جميع ما املكه من الذخائر لانه ليس لي ولدًا (ولد) بل ابنة واحدة وانا أُعطيك عنـه عشرون (عشرين) دينارًا. فاجابه الراعي قائلًا : يا مولاي الارخن كيف يكون هذا وانا قد تعبتُ فيهِ وربّيتهُ لي ابنًا وسلّمت اليهِ كل. الى لشقتي بهِ وليس أُحبّ احدًا من اولادي سواهُ. فاجابه الغنيّ قائلًا : اني ارى لك اولاد (اولادًا) واكبرهُ كثير يقضون حوائجك ويصنعون ارادتك وهذا الفتى تلاصون اعطيه (أعطهِ) لي لاصيّرهُ لي ولدًا فقد احببته جدًّا

وان الراعي لما سمع بالذهب سمح بعطيّتهِ وقال للارخن : انك تكلّفني لما لا اريد ولم تنصفني في ثمنهِ. وان الغني لما (fol. 12ʳ) علم انّ الراعي وافق على عطاء الفتى له فرح جدًّا وقال له : كم تريد ان اعطيك. فقال له : خمسون (خمسين) دينارًا . وللوقت احضر الغني الذهب بسرعة وسلّمهُ في يد الراعي واخذ منهُ الفتى

فلمّا سلّمهُ كتب رسالة لزوجتهِ قائلًا هكذا : اعلمكِ ايتها الاخت ان هذا الفتى الواصل اليك بهذه الرسالة هو الطفل الذي جعلناهُ في الزقّ ورميناهُ في قاع البحر وهوذا انا في سفري مجتازًا (مجتاز) براعي غنم فخبّرني عنه انه وجدهُ في البحر وربّاهُ وصيّرهُ له

١) الارخن من اليونانية (Ἄρχων) الزعيم والامير

ولدًا وهوذا قد اخذتهُ منهُ بخمسون (بخمسين) دينارًا يظنّ انــه يفوز مني وهوذا قد ارسلته اليكِ فساعة قراءتك بهذه الرسالة تقطعي (تقطعين) عنقهُ وترميه (وترمينه) في البحر وتفعلي (وتفعلين) بهِ كذلك ليضمحلّ تذكارهُ الى الابد

وبعد ذلك ختم الرسالة وسلّمهــا في يد الفتى تلاصون واركبهُ (fol. 12ᵛ) بغلةً حسنة وعرّفهُ بطريق داره. وانهُ خرج من عند الغني وسافر في الطريق ولم يعلم ان بيده رسالة بقتله وهلاكه. وبعد ذلك ركبوا دوابهم ومضوا الى حال سبيلهم ولم يزل الفتى ماشيًا في الطريق حتى وصل الى مدينة الغني. ولم يبقَ بعيدًا منه سوى ميل واحد للوقت ظهر لهُ ملاك الرب ميخائيل وهو راكبٌ بغلة بيضة (بيضاء) وعليه خلعة ملوكيّة يشبه احد اجناد الملك فقال لتلاصون: من أين اقبلت ايها الفتى والى اين تطلب وما هو هذا الكتاب الذي بيدك. اجاب تلاصون وقال له: ايها السيّد ان الارخن الرئيس ارسلني الى بيته بهذه الرسالة ولم اعلم مضمونهــا. فقال له رئيس الملائكة ميخائيل المتشبه بالجندي: أرني ايّاها ايها الفتى لاعلم ما فيها. فأجابهُ تلاصون (fol. 13ʳ) قائلًا: كيف يكون هذا يا سيّدي. فقال له الملاك ميخائيل رئيس الطغمات السمائيّة: اعطيها (أعطها) وانا ادفعها لك بهيئتها لم تتغيّر. وان تلاصون بعد جهد عظيم ناول الرسالة لرئيس الملائكة ميخائيل فلمّا اخذها نفخ فيها فامحى منها جميع الاحرف الرديّة المكتوبة فيها ادية (اذيّة) الفتى وكتب داخلها بشرح آخر هكذا: « اعلمي أيها (أيّتها) الاخت المباركة انّ هذا الفتى الواصل اليك بهذه الرسالة منسوبٌ لملوك الروم اجتمعتُ أنا بهِ حيث اعطاني سبعمائة دينار على شرط انهُ يتزوّج ابنتي والآن احرصي من كل بدّ وسبب ان تجهّزي كل اموره وتعوسيهِ على ابنتي واهتمّي لهُ بجميع مزيّن حسن لكل زخارف هذا العالم واذا مــا انقضت ايام العرس تُسلمي (تسلمين) لهُ في يديهِ كل شيٍّ لي ولــك من الاموال والذخائر قليلًا وكثيرًا وجليلًا وحقيرًا. والحذر (fol. 13v) ان تخفي عنه من اموالي وارزاقي شيئًا وحتى الى جسدك يكون ايضًا تحت سلطانهِ الى ان احضر »

ولما كتب رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل هذا الكلام داخل الرسالة وبعد ذلك سلّمها للغلام تلاصون وهي مختومة بخاتم الغني كأنهــا لم تتغيّر البتة وقال له: امضي (امضِ) في طريقك بسلام كمثل مــا أُرسلتَ فيهِ. ثم صعد رئيس الملائكة ميخائيل الى السموات وصار تلاصون في طريقهِ والرسالة بيدهِ الى حيث وصل الى بيت ذلك

الغني وسلّمها لامرأته فلما قرأتها ابتهجت بالفرح ودعت وكلاءها وامناءها وقالت لهم: امضوا عاجلًا وهيّئوا جميع آلات العرس كي ازوّج ابنتي الى هذا الفتى الرسول (المرسل) من جهة والدها. وان اولئك مضوا مسرعين كامر سيّدتهم وجهزوا كلما يحتاجوا (يحتاجون) اليه وجميع من في المدينة فرحين (فرحوا) بذلك ثم ازوجوا الفتى للصبية ابنة الغني وكانوا في فرح واغاني (fol. 14r) وطرب الى ان لم يبق احد في المدن الغريبة منهم الا واتى فرحًا معهم

فلما كان بعد ثلاثة اشهر واتى ذلك الغني من سفره فلما قرب من المدينة مقدار ميل واحد نزل من على حصانه وفيما هو يخلع الركاب من رجله التقى بانسان من اهل المدينة فقال له: اترى يا فلان اهلي معافيين (معافين). فقال له: نعم وعندهم فرح عظيم ولهم اليوم مدّة ثلاثة اشهر وهم في رهج كثير واغاني واصوات وطربه. اجابه الارخن قائلًا: ما السبب في ذلك. فقال له: ان الفتى المرسول (المرسل) من جهتك ازوجوهُ لابنتك كأمرك ولهذا هم يفرحوا (يفرحون). فلما سمع الغني هذا الكلام وعلم انّ الغلام تزوّج بابنته وورث كل امواله ونعمته كقول المخلّص ربنا يسوع المسيح صرخ قائلًا: آه ماذا دهاني في هذا اليوم ودخل على قلبي من الحزن. ثم صعد ليركب حصانه والوقت خرج السيف (fol. 14v) من غمده الذي (كان) له متقلدًا به وعبر في جوفه فسقط ميتًا للوقت

فلما بلغ زوجتهُ هذا الخبر الرديّ اضطربت ورمت التراب على راسها ووثبت قائمة فسقطت للوقت على الارض ميّتة وهكذا توفا (توفي) الغني وزوجتهُ في يوم واحد وتمّ قول الرب على الغني انّ مالهُ وجميع ارزاقه يكونون (تكون) لابن الامرأة المسكينة وهكذا كان

وبعد ذلك والفتى راقدًا (راقدٌ) في بعض الليالي اذ اشرف عليه نورًا عظيمًا (نور عظيم) حتى اضاء المكان جميعهُ فانتبه الفتى مرعوبًا فظهر له ملاك الرب ميخائيل رئيس قوّات السموات وقال له: استيقظ ايها الفتى واعرف من انا ومن هو المخاطب لك. فقال لهُ الصبيّ وهو مرعوبًا (مرعوب): ومن انت هكذا يا سيدي بهذا المجد العظيم المحيط (fol. 15r) بك. فقال له: انا هو ميخائيل رئيس قوّات السموات المتبهل الى الله في كل حين عن جنس البشر انا هو ميخائيل الذي اتيت في خدمة سيدي يسوع المسيح

وغبريال رفيقي تبعناك حين كانت امك تطلق بك وانا سألت الله من أجلك حتى أعطاك هذه النعمة والخيرات الكثيرة انا هو ميخائيل الكائن معك حين وضعك الغنيّ في الزقّ وارماك (ورماك) في البحر واصعدت بك وخلصتك. انا هو ميخائيل الذي ظهرتُ لك في الطريق وغيّرت رسالة الغني بكلام جيّد لان كان فيها كلام ردي يقصد بك هلاكك. والآن انا اوصيك بهذه الارملة التي هي جانبك احذر ان تتخلّى عنها فهي أمك التي ولدتك من احشائها وهوذا انا أكون معك الى يوم وفاتك. ولما قال له هذا اعطاه السلام وقواه (fol. 15ᵛ) وصعد عنهُ الى السماء وهو ينظر اليهِ

المختار في كشف الاسرار

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

اردف الجوبري بالفصل الذي خصّهُ بشعوذة الكيميويين فصلًا اخر كشف فيهِ اسرار العطّارين وروى لهم ضروبًا من الحيل تذكّرنا بما نشرته مجلّتنا في العام الماضي عن مكرهم (١١: ٥٨٠-٥٩٤) نقلًا عن كتاب نهاية الرتبة في الحسبة لابن بسّام. فاثبت الجوهري غش العطّارين للاهليلج والماورد والزنجبيل والعود والمسك والعنبر. قال في غشهم للمسك:

انهم يأخذون افراخ الحمام المجهولة لما تنفقس ويزقّونها بكباش القرنفل ويسقونها ماء ورد مضافًا اليهِ المحلب والسنبل. يفعلون ذلك سبعة ايّام ثم يأخذون جام زجاج يدهنونهُ بدهن البان ثم يذبحون فيهِ تلك الافراخ ويصفّون دمها ويحترزون عليهِ من الغبار فاذا جفّ اخرجوه من الجام واضافوا اليهِ مثل خُمسهِ مسكًا خالصًا. ثم يُسحق الجميع على الصلاية ناعمًا ثم يأخذون نافجة فارغة ويحشونها من ذلك المعمول ثم تُلصق النافجة بصمغ عربي ويلصق معها من شعر النافجة ثم يبيعونه وهو احسن ما يكون مما وجدتهُ في عمل المسك بعدما عرفتُ فيهِ ستّ طرائق فافهم ذلك

وقال في غشّ العنبر:

وذلك انهم يأخذون حبّ العصفر وينقعونهُ في ماء الورد يومًا وليلةً بعد نزعهِ من نواه. فاذا كان من الغد مرسوهُ باليد حتّى يطلع قشرهُ ويبقى اللحم ثم يجعلونهُ في الصلاية ويلقون عليهِ العنبر ويسحقونهُ بماء الورد الذي نُقع فيهِ ولا يزالون يسحقونهُ حتّى تنقطع الدبوقة فاذا انقطعت خدموهُ بدهن البان الخام ثم يسقونهُ من قشر الجوز الاخضر شيئًا يسيرًا ثم يجعلون مثل ربعهِ عنبرًا خامًا ثم يجعل في وعاء زجاج ضيّق الراس فيسدّونهُ سدًّا محكمًا ثم يجعلونهُ في مكان نديّ اربعين يومًا ثم

يفتحونهُ فيجدونهُ قد أشعب وصار اشهب وهذا احسن ما وجدتهُ بعد معرفة ثلاثين طريقة

وكما احتالوا في غشّ العنبر كذلك تقلّدوا اللازورد قال الجوبري:

ياخذون قشر البيض المكلّس ويلقون عليهِ حشيشة الصبّاغين وتسمّى الوشيمة وتسمّى النيل ثم يلقون عليها ماء النيل الهندي السراوي (ويروى البصروي) فانهُ يعود لازوردًا جيدًا وهذه الطريقة أعرف منها ٤٢ (ويروى ٤٨) طريقة مختلفة الانواع ولو ذهبتُ اذكر كل ما اعرف لما وسع كتابي ذلك بل اختصرت بالبعض ليستدلّ على الكل من لهُ لب وعقل صائب

ويقرب من هذا الفصل فصل كشف اسرار الجوهريين وهو الثاني عشر في نسختنا والرابع والعشرون في نسخ أخرى وقد قسمهُ الجوبري احد عشر بابًا على اختلاف الجواهر المغشوشة نذكر منها امثلة لفائدة القرّاء. قال في تقليدهم للدرّ والجوهر:

اعلم انهم اذا ارادوا عمل الدرّ وهو اللؤلؤ حتّى لا ينكر انهُ معدني فانهم يأخذون من اللؤلؤ الصغار ومن الصدف الجوهريّة فينعمونهُ ويقشرونهُ من جميع السواد الذي عليهِ من خارج ثم يسحقونهُ بالغًا ويلقونهُ في ماء الحمّاض من الاترج يعني يحلّونهُ فاذا انحلّ وصار مثل العجين يلقون عليهِ من غراء الحلزون ومنهم من يضيف اليهِ الطلق المحلول ومنهم من يضيف اليهِ الزجاج المبيت (ويروى: القرار المشبب) المطهّر ويكونون قد عملوا ملعقةً من الفضّة صغيرة فيأخذون بها الدواء بمقدار ما يريدون ان يكون قدر اللؤلؤة ثم يجعلونهُ في قشر بيضة ويدلكونهُ فيها حتّى يسكن. فاذا صار كما يريدون يجففونهُ في الظلّ ويحترزون عليهِ من الغبار فاذا جفّ قليلًا اخذوا لهُ شعرة من الخنزير فيثقبونهُ بها ثم يتركونهُ حتى يجفّ جفافًا ثم يعقدونهُ. (ثم وصف عقدهُ بقولهِ:) انهم يجعلونهُ في العجين ويلقمونهُ لطير حمام اسود ثم يذبحونهُ من الغد. ومنهم من يلقمهُ لطير دجاج اسود. ومنهم من يلقمهُ لطير اوزّ يحترز عليهِ من اكل شيء في ذلك النهار الى اليوم الثاني فيرميهِ. ومنهم من يجعلهُ في شحمة دجاجة ويلقون عليهِ من الاطلس الاحمر ثم ياخذ فرخ سمك طري كما خرج من الماء فينظفونهُ ويشقّون جوفهُ ولا يتركون فيهِ سوى المنفخة التي في جوفهِ ويسمّونها العوّامة فيشقّونها ويودعون ذلك فيها ثم يردّونها الى جوف السمكة ويخيطون السمكة ثم يجعلونها في طاجن ويجعلون الطاجن في الفرن حتى تستوي ثم يرفعونها ويخرجون المعمول فانهُ يصير لؤلؤًا جيدًا مليحًا

وأتبع ذلك بفائدة في جلاء اللؤلؤ قال:

واذا خرج في اللؤلؤ صفرة او جرب فانّهم يأخذون ماء الليمون ونشارة العاج ثم يبلّون بماء الليمون خرقة تكون رفيعةً ويجعلون فيها نشارة العاج مع اللؤلؤ ثم يدلكونهُ دلكًا جيّدًا فانهُ يعود احسن ما يكون من النقاء الابيض فافهم ذلك

وقال في تقليد الياقوت الاصفر:

اذا ارادوا ذلك فانهم يأخذون من البلّور ما ارادوا فيدقّونهُ ويذيبونهُ في مقرمة (ويروى:

مفرغة) نقيَّة اخذوا من الزعفران جزءا ومن القيسا (؟) جزءا فيلقوها على ذلك البلور ثم يطرحونهُ على بلاطة فانهُ يعود ياقوتاً اصفر لا يكون شيء احسن منهُ فيقطعونهُ كما يريدون ويبيعونهُ باوفى الاثمان

عمل الياقوت الاخضر:

يأخذون من البلور ما ارادوا فيذيبونهُ ثم يأخذون من الزنجار الحمصي جزءا ومن النيل جزءا ومن الحبَّة الخضراء جزءا ويدقّون الجميع ثم يطرحونهُ على ذلك البلور فانهُ يعود ياقوتاً اخضر لا يكون احسن منهُ

عمل الياقوت الازرق:

يأخذون من الياقوت الاصفر ما ارادوا ويملونهُ في بودقة ويملون من تحتها النوشادر ومن فوقها ثم يطيّنوها بطين الحكمة ثم ينفخون عليها حتى تحمرّ ثم يخرجوها بعد ان تبرد فانّ الصفرة تنسلخ ويبقى حجر ابيض فيصبغونهُ بما ارادوا من الالوان فافهم ذلك

وقال الجوبري عن اصطناعهم العقيق:

انهم يعملون العقيق وينقشونهُ ويكتبون عليهِ حتّى ان الذي ينظر اليهِ لا يشك انّهُ خلقة. ويعملون من ذلك اصنافاً ويتربّون على الناس بها على قدر ما يريدون. فياخذون الاثل ويجففونهُ ويعملون معهُ من القلي مثلهُ ثم يسقونهُ بالماء حتى يصير مثل المرهم ثم ياخذون الفص او الحجر وينقشون عليهِ ما ارادوا من النقوش والصور والتماثيل ويكون النقش حفراً حسناً ثم يحشونهُ من ذلك الدواء ويجففونهُ ثم يجعلونهُ في خرقة ويضعونهُ في قِدر على نار لينة ثم يخرجونهُ منها فاذا رأوا موضع الكتابة قد ابيضّ بياضاً جيدًا والّا تركوهُ ساعة اخرى يبلغ كما يريدون ثم يغسلونهُ فيُرى كل ما تحت الدواء قد ابيضّ والباقي أحمر على ما كان عليهِ فافهمهُ

وقال في اصطناعهم الزمرُّد:

يأخذون البلّور الصافي ويجعلونه في قدر من حجر ثم يعصرون عليهِ من ماء الدفلى ما يغمره ويعلو عليهِ اربعة اصابع ثم يجعلون عليهِ قيراطاً من الزنجار الحمصي ثمّ يطبخونهُ بنار متوسطة حتى يخضرّ ويحسن لونهُ فانهُ يخرج احسن ما يكون من الزمرُّد فافهم ذلك

ويشبه هذا الفصل ما رواهُ الجوبري في الفصل الثالث عشر من نسختنا وهو الخامس والعشرون من نسخ اخرى عن كشف اسرار الصيارفة ونعتهم «باشدّ الناس حراماً. وأصنعهم في اخذ اموال الناس. فانّ لهم اموراً لا يعلمها الّا كل دهقان لبيب مع انّ فيهم متميزين وذوي هيبة ووقار» ثم وصف لهم ضروباً من الحيل في التلاعب بالميزان او احدى كفّتيهِ فيرجحون كفّة على اخرى او يجوّفون قصبتهُ ويجعلون في داخلها زئبقاً. وكذلك العيارات والاوزان فانهم يحتالون في تخفيفها او تثقيلها بطرائق خفيّة

كالنقاب يحشونها بالشمع وغير ذلك من اصناف الغشّ والخداع التي عاينها باسفاره فاخبر بها وهذه قصّة حدثت لهُ في الهند

قصّة الصيرفيّ الهندي المحتال

ومن اعجب ما جرى لي في البلاد الهنديّة اني رأيت هناك رجلاً صيرفيًّا يدعى عفيف الدين كان عليهِ من الحشمة امر عظيم وجميع التجار تَرِد عليهِ وتودعهُ اموالها وتستدين منهُ . فترقّبتُ حركاتهِ وسكناتهِ فرأيت انهُ صنع شيئًا لم يُسبق اليهِ وذلك انهُ اتخذ خاتمًا بفصّ عليهِ نقش فداومتُ الجلوس عندهُ وأطلتُ النظر الى ذلك الخاتم فرأيتهُ اذا قبض الذهب من التاجر جعل فصّ الخاتم من وراء لسان الميزان من جهة الصنج واذا دفع الى التاجر ذهبهُ حوّل الخاتم الى قدّام اللسان . واللسان يلعب لعبًا زائدًا كلّما قرّب الخاتم اليهِ . فعلمتُ انّ في الخاتم شيئًا من الدكّ . ولم ازل اذكر ذلك واتعجّب منهُ وافكّر فيهِ فلم يظهر لي وجه الحقّ حتى كان يوم من الايام وانا عندهُ اذ تطاير شيءٌ من فصّ الخاتم فنظرتهُ فاذا هو من حجر المغناطيس فقلتُ: هذا دكّ لم يُسبق اليهِ . فانّ الصيرفيّ كان اذا قبض الذهب ادار الخاتم الى ناحية الصنج فياخذ لسان الميزان اليهِ ويمنعهُ من الزوال بمقدار ما يجب من جذب الحجر فيكون في الوزنة زيادة مثقال واكثر . فلما علمتُ ذلك خلوتُ بالرجل وقلتُ لهُ : « والله قد درت البلاد وكشفتُ اسرار الناس فلم اجد احدًا سبقك الى هذا يا عفيف الدين ولكن بئس العفيف انت » . فلما علم اني كشفتُ سرّهُ خجل وخاف وقال لي : سيّدي الحرّ مَن ستر عيوب الناس ومن شيم الكرام كتمان السرّ وانّ هذا الخاتم في يدي منذ خمس وعشرين سنة وما علم سرّهُ غيرك . فيا هو مني هبة اليك . فقلت : لا أُطلع عليهِ احدًا في هذا الاقليم . وتمثّلتُ بقول الحريري (في مقامتهِ السمرقنديّة) : فنزلتهُ منزلة الفضيل وسدلتُ الذيل على مخازي الليل . فعند ذلك تهلّل وجههُ فرحًا ومال الى صندوق فاخرج منهُ صرّة وقال لي : يا سيدي اشتهي ان تقبل مني هذه النفقة تستعين بها في هذا الوقت واقسم بالله ان لا بدّ من ذلك فاخذتها على وجه الهديّة . ولمّا رجعتُ الى منزلي فتحتُ الصرّة فاذا فيها خمسون مثقالا (ويروى : خمسون دينارًا مسوديًا) وصرت اتردّد اليهِ وبقيت عندهُ من اعزّ اصحابه وعرّفني بكبار البلد فصرت كواحد منهم

(وهنا نلوم ايضاً الجوبري على مصادقة ذلك الخدّاع بعد معرفته لدبائسه فان الصدق والانسانية كانا يقضيان عليه بان يفشي سرَّهُ ويحذّر الناس من غشهِ ويمتنع عن قبول هديّته)

ومن الفصول التي تفيد القرّاء معرفتها لياخذوا حذرهم من اهل التدليس الفصل التاسع من نسختنا وهو العشرون في غيرها وهناك يذكر الجوبري ما سوَّل الشيطان لبعض المدلّسين ليخدعوا الناس بالاطعمة المغشوشة فانّهم لم يدعوا طعاماً الّا زوّروهُ. وكأنهم سبقوا المكّارين في عهدنا ولاسيما في حواضر المدن وامهات البلاد حيث يغشّ ارباب الحرف المآكل بما يدسّونهُ فيها من العناصر الغريبة طمعاً في الربح. وهذه امثلة مما روى الجوبري عن باعة زمانهِ. قال في غشّ العسل:

اذا ارادوا ان يعملوا الشقيقي الطيب ياخذون من التين المريّ الجيد يجعلونهُ في اناء ثم يلقون عليهِ الماء العذب ما يغمرهُ ويتركونهُ حتّى يعود مثل الحلوى ثم يمرسونهُ مرساً جيدًا. ثم ياخذون الثُّفل ويلقون عليهِ ماءً فاترًا ويمرسونهُ حتّى لا يبقى فيهِ شيءٌ ثم يصفّونهُ على الاوّل ويرفعون الجميع على نار لينة حتى يأخذ قوامهُ. ثم يلقون عليهِ الصمغ العربي وقليلًا من الكثيراء الشقراء او الشمع الخام ويغلونهُ ثم يجعلونهُ في اوعية من الفخار الجديد ويتركونهُ سبعة ايام فانهُ يعود عسلًا جيدًا وقد رأيتهم يصنعونهُ من القمح والبطيخ فيجيءُ من احسن ما يكون. ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع اعمالهم

ووصف تقليدهم السمن فذكر طريقتين لذلك:

(الاولى) اذا ارادوا عمل السمن اخذوا من الدهن البقري السمين الجديد فيذيبونهُ ثم ياخذون جزءًا من الورس المدقوق الناعم وجزءًا من الصمغ العربي ويخلطون الجميع مع الدهن فيضربونهُ ضربًا جيدًا فانهُ يعود سمنًا اجود ما يكون من السمن

(الصفة الثانية) ياخذون دهن الالية ويذيبونهُ فاذا ذاب القوا عليهِ الحلبة المدقوقة الناعمة ومن الكثيراء الشقراء اجزاء متساوية ثم يضربونها مع الدهن ضربًا جيدًا فيعود سمنًا في غاية الحسن

وقال في اصطناعهم الزبدة:

واذا ارادوا عمل الزبدة ياخذون الحليب ويغلونهُ على نار لينة ثم يلقون عليهِ اجزاء متساوية من البورق والكثيراء والصمغ العربي وحشيشة المصطكى ثم يتركونهُ ساعة فيعود زبدًا طيبًا من احسن ما يكون

وروى طريقتهم في اصطناع اللبن الخاثر واللبن الحامض قال:

هذا باب معدوم لا يعلمهُ الآكل فاضل فاذا ارادوا ذلك فانهم ياخذون من الجوز الهندي فيقشرون قشرتهُ السوداء ويخرطونهُ في القوارير ويصبّون عليهِ الماء ثم يمرسونهُ بأيديهم مرسًا

جيدًا حتَّى انَّهم اذا ذاقوهُ وجدوهُ مثل اللبن فمند ذلك يصرونهُ عصرًا جيدًا ثم يجمعون ما خرج منهُ مع الماء الذي كان فيهِ ويصفُّونهُ فانهُ يصير خاثرًا كثير الدسم فيجعلونهُ في اناء ثم يكمدونهُ كما يُكمد اللبن حتى يصير حامضًا فيعود لبنًا طيبًا. ولو ذهبتُ اذكر جميع احوالهم في المطعم لطال ولم تسعهُ مجلَّدات كثيرة. ولكن قصدنا الاختصار وبالبعض يستدلّ العاقل اللبيب على الكثير

هذه نُتَف ممَّا رواهُ الجوبريّ للمموّهين والمخرقين واصحاب المكر والتدليس ولهُ فصول اخرى في طوائف غيرها كالكحّالين والاطبَّاء والدراويش واللصوص والذين يصبغون الحيل ويختلسون بني آدم ويصبغونهم الوانًا لئلا يعرفهم اهلهم والذين يلعبون بالنار او بالحيَّات وقد ختم فصولهُ بذكر دهاء النساء النصَّابات. ولولا خوفنا من الطول المملّ لذكرنا تلك الفصول بالتفصيل وفي ما رويناهُ كفاية لتعريف هذا الكتاب الفريد في جنسهِ

الآداب العربيَّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

لم تبلغ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر كلهِ ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرّها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت افنانها ومدَّت في قاع الارض اصولها فلم تعُد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصًا لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سوريَّة ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقُّون شيئًا فشيئًا عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدُّن بنفوذهم

ولا مراء انَّ المدارس لعبت الدور الاهمّ في هذا الترقّي الشريف فكانت الكليّة الامركيّة بانت عزّ قوَّتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس وبهمّة بعض اساتذتها ولاسيما الدكاترة كرنيليوس ڤـان ديك ولويس وجورج بست ويوحنّا ورتبات وبمساعدة بعض الوطنيّين. وكان وقتئذٍ تعليم المدرسة باللغة العربيّة فوضعت عمدة الكلية في العربيّة او نقلت اليها عددًا وافرًا من التآليف العلميّة التي ادَّت خدمًا موقّتة لنشر العلوم في الشام وغيرها الى ان عدلت المدرسة عن العربيّة الى الانكليزيّة لما تحقّقت ان تلك التآليف تحتاج في كل سنة الى اصلاح وتحسين بتقدُّم العلوم فلا تغني بالمرام بعد زمن قليل ما لم يكرَّر طبعها مع وفرة نفقاتها

وكانت الكليَّة اليسوعيَّة مع حداثة نشأتها تباري رصيفتهـا الاميركيَّة في نشر المعارف الدينيَّة والدنيويَّة. وكان الاحبار الرومانيُّون يعلّقون عليها الآمال الطيّبة في اعلاء منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقيَّة فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٧٤ اسم كلّيَّة وجاء من بعده خلفهُ المغبوط لاون الثالث عشر فخصَّها سنة ١٨٨١ بامتيازاتٍ اخرى وخصوصًا ان تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحقّ القانوني والفلسفة

وكانت الدولة الفرنسويَّة في تلك الاثناء ساعيةً في تعزيز مدارسهـا في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محقّقًا لغاياتها ضامنًا لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الاجازة كطالبي مدارسها في فرنسة. ثمّ وكلت الى روسائها ان يلحقوا بالكلية مكتبًا طبيًّا. فتمَّ ذلك فعلًا سنة ١٨٨٣ وأنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الاثني عشر لكلّ منهـا معلّميها الاختصاصي. فزادت هذه الانعامات كليَّتنا نشاطًا وعزيمة ورقّتها الى درجة ما كانت لتطمع فيها الآمال. وكانت للدروس العربية في ذلك الترقي حظّها من الاهتمام كما اثبتنا الامر في خطبة القيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ : ٦٩٩) وفي مقالة اخرى عن تدريس العربية في كلّيتنا (المشرق ٥ : ٩٢٢) حيث عدَّدنا تآليف تسعين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويون

وكانت المدارس الثانويَّة الاخرى منها للمرسلين ومنها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار. فمنها ما كان سبق انشاؤهُ تلك الحقبة فمرَّ لنا ذكرهُ ومنها ما استجدَّ افتتاحهُ كمدارس «الفرار» في بيروت والقدس وحيفا ويافـا وطرابلس ومدرسة الاباء

الكبوشيين في صليا والاباء الكرمليين في القبيات والاباء اليسوعيين في حمص وسيدة القلعة . واعظم منها مدرسة القديسة حنة الاكليريكية المعروفة بالصلاحية التي أسسها سنة ١٨٨٢ نيافة الكردينال لافيجري وخصصها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت ادارة الاباء البيض (اطلب في المشرق ١٠ : ٨٦٥ مقالة الخوري نقولا دهان في تاريخ تلك المدرسة واعمالها) . وتعددت المدارس الابتدائية للذكور والاناث فحظيت بها اكثر قرى لبنان وسهول البقاع ونواحي حوران بهمة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلاً عما عُني بانشائه المرسلون البروتستانت في انحاء شتى

اما المدارس الطائفية فأُنشئ منها للدروس الثانوية مدرسة غزير المارونية كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة ١٨٨٠ ومدرسة قرنة شهوان المعروفة باللبنانية من آثار همة السيد يوسف الزغبي سنة ١٨٨٣ . وفتح الروم الكاثوليك في دمشق مدرستهم البطريركية التي اقبل عليها الاحداث لحسن نظامها . وكذلك مدرستهم الاسقفية في زحلة اهتم بتدبيرها كهنة افاضل اخصهم الخوري فيلبوس غير والخوري بطرس الجريجري قبل انتخابه الى كرسي بانياس . وفي السنة ١٨٩٨ اقامت الرهبانية الباسيلية الحناوية مدرستها الشرقية وقد نعتها بالكلية وهي اليوم من المعاهد التي تزين مدينة زحلة . وانشأوا الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يدبرها عدة كهنة من تلامذة القديسة حنة تحت نظارة راعيها الغيور . وزيد ايضاً بمساعي الطوائف الشرقية عدد المدارس الابتدائية في عدة امكنة فاصبحت بذلك اثمار العلوم دانية القطوف حتى بين القرويين والفقراء .

ومما نعرفه من امور المدارس غير الكاثوليكية انشاء الروم الارثذكس لمدرسة كفتين سنة ١٨٨٢ فتقلبت عليها الاحوال بين تقدم وتأخر حتى أُقفلت . ومثلها مدرستهم الاكليركية في دير البلمند التي اصابت بعض النجاح مدة . وانشأت السيدة املي سرسق مدرسة وطنية في الثغر لبنات طائفتها دعتها زهرة الاحسان عام ١٨٨٠ . وقد وجد الروم الارثذكس مساعداً كبيراً في الدولة الروسية لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها . فان شركة فلسطين المسكوبية منذ عشرين سنة انشأت في الشام وفلسطين نيفاً وثمانين مدرسة تنفق عليها المبالغ الوافرة . وفتح الاسرائيليون مدرسة في بيروت

ترأسها زاكي افندي كوهن سنة ١٨٧٥ فخدمت طائفة اليهود نحو ٢٥ عاماً ثم أُبطلت وقامت بدلًا منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

كذلك انشأت الحكومة للمسلمين في بيروت المكتب الاعدادي سنة ١٣٠٩ (١٨٨٥) ثم انشأ بعض الاهالي اصحاب الهمَّة مدارس اهليَّة اخصُّها المدرسة العثمانية لصاحبها ورئيسها الشيخ احمد افندي عباس الازهري سنة ١٣١٣ (١٨٩٧) والمدرسة الوطنيَّة والمدرسة العلمية وهذه المدارس ارقى نوعًا من المدارس الابتدائية فيزيدون غالباً على المبادئ واصول الدين واللغة درس اللغتين التركية والفرنسويَّة مع اصول الحساب والجغرافية ومسك الدفاتر

وكانت المطابع السوريَّة في هذه البرهة سيَّارة الآداب تجري على حرّيتها دون ان يضغط عليها المراقبون ويقصُّوا اجنحة اطيار الافكار. فكان الصحافيُّون يعلنون الاخبار الصحيحة ويعبرون عن آرائهم في اصلاح الامور وتلافي الشرور لا تأخذهم في ذلك لومة لائم. وفي تلك الاثناء اتَّسعت مجلة المقتطف في ابحاثها وكبر حجمها بعد الغاء مجلَّة الجنان لكنَّها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحسَّاد فانتقلت الى مصر سنة ١٨٨٦ وجرت على سَنَنها الى السنة الجارية وهي الرابعة والثلاثون من عمرها. وأُنشئت بعد ذلك مجلة الطبيب كان يحرّرها بشاره زلزل والشيخ ابراهيم اليازجي. ولم يطل عمرها على ثلاث سنوات فقامت بدلًا منها مجلَّة أُخرى باسم الطبيب يحرّرها الدكتور اسكندر افندي البارودي. ونشر الروم الارثذكس مجلتهم المديَّة وظهرت في لبنان مجلَّتا الشفاء والصفا فخدمتا الآداب خمس سنين او ستًّا. وكانت مجلَّة المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلات في بيروت ظهرت في غرَّة السنة ١٨٩٨ وهذه السنة الثانية عشرة لعمرها. نفع الله بها اهل الوطن ومحبّي الدين والادب. وكذلك بوشر بعدَّة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة ١٨٧٧ ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقَّاش ثم جريدة التقدُّم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون. وجريدة الاحوال لصاحبها الاديب خليل افندي البدوي. وأُنشئت الصحافة اللبنانيَّة فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسميَّة ثم الروضة ثم لبنان لصاحب امتيازها جناب ابراهيم بك الاسود ثم الارز

وطُبعت عدَّة مطبوعات مفيدة منها علميَّة ومنها تاريخيَّة ومنها ادبيَّة. وكانت مطبعتنا

الكاثوليكيّة في مقدّمة المطابع فنشرت بهمّة مديريها وآبا كلّيتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصريّة . وممّا وجّهت اليهِ عنايتها الكتب المدارسية لتكون في ايدي الاحداث دستورًا ودليلًا

على انّ ادارة المعارف في الاستانة اخذت تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حرّيّة المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئًا بعد شيءٍ حتى بلغت في ضغطها حدًّا لا يكاد يتصوّره غير الذين قاسوا مضضهُ . وكان ذلك الضنك الذي بلّغ الروح التراقي من اقوى اسباب الانقلاب الاخير . ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها المعلم بطرس البستاني ثم خلفهُ في نشرها اولادهُ وانسباؤهُ ولم يتمّ منها الّا نصفها . وكذلك طُبع ديوان الاخطل وديوان الخنساء وديوان ابي العتاهية واقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الامثال للشيخ ابراهيم الاحدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ ابراهيم اليازجي ومجموع مجاني الادب مع شروحهِ وكتب أُخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعةً طيّبة حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتها . وكان الحظ الاوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك

وممّا يحيي الآداب ويبعث همم ذويها الجمعيات الادبية وقد ذكرنا سابقًا ما أُنشئ منها في بيروت على انّ تلك الجمعيات الادبية انتقض حبلها وتضعضعت اركانها اذ تصدّت لها الحكومة المحلّية وكانت لا تزال تترصّدها وتتجسّس بواطن اصحابها وتسيء الظنّ بهم فرأوا في شتاتهم خيرًا لهم . وقد سُمي مع ذلك الادباء بانشاء نوادي ادبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد اصحابها من اساتذة الحكمة بعض جلسات في السنتين ١٨٨١ و ١٨٨٢ ونشرت نبذًا من اعمالها . ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انتمت الى القديس جرجس دبّرها الاب يوسف برنيه اليسوعي ثلاث سنوات واتت ببعض النتائج الحسنة (١٨٨٣—١٨٨٦) وأسّس الاميركان جمعية اخرى مختلطة دعوها بشمس البرّ تلتئم حتى اليوم في اوقات معلومة وتُتلى فيها الخطب في مواضيع شتّى

وقد ساعد ايضاً على نشر الاداب في جهات الشام وبالاخصّ في بيروت انشاء الكتبيين للمكاتب فانّ باعة الكتب قبل السنة ١٨٨٠ كانوا قليلين لا يزيدون على

ثلاثة او اربعة بين نصارى ومسلمين فتُحت عدَّة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن اوربَّة. ثم خمدت تلك الحركة بعد ان تشدَّدت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتفِ بان تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرَّد ما توهَّمتهُ فيها من المحظورات حتى لم تسمح بادخال تاريخ ابي الفداء والعقد الفريد لابن عبد ربهِ. وقد رأينا من مراقبة المأمورين عجائب وغرائب لو اثبتناها هنا لعُدَّت من اساطير الاوَّلين او اقاصيص الامم الهمجيَّة

ومع ما نفعت تلك المكاتب كنَّا نحضُّ ذوي الامر على انشاء خزائن عموميَّة تودع فيها اخصّ المطبوعات الشرقيَّة ليقتبس من انوارها المشتغلون بالآداب كما هو جارٍ في معظم البلاد المتمدّنة لكنَّنا كنَّا ننفخ في رماد ونضرب على حديد بارد. والى يومنا هذا نتمنى بفروغ الصبر ان تصرف بلديَّتنا نظرها الى هذا الامر النافع فعسى ان يلقى مطلوبنا اذنًا سامعة

على انَّ بعض الجمعيات استدركت الامر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن. فانَّ المدرسة الامركيَّة عُنيت بفتح مكتبة في معاهد كليتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة الاف بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخص لأدباء البلدة فضلًا عن ذويها بمطالعة تلك المصنَّفات. وكذلك اهتمَّت احدى السيدات الامركيَّة بانشاء غرفة للقراءة تُعرَض فيها الجرائد على القرَّاء وتتضمَّن مع هذا عددًا وافرًا من الكتب العربية وخصوصًا التآليف الدينيَّة البروتستانيَّة

وكان رؤساء مدرستنا الكليَّة وجَّهوا جلَّ اهتمامهم لانشاء مكتبة واسعة تشتمل على اخصّ الآثار الشرقيَّة فوكلوا الامر الى بعض رهبانهم فانشئت سنة ١٨٨٠ المكتبة الشرقيَّة التي لم تزل تمتدُّ وتتَّسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الثلاثين الفًا. بينها مجموع المجلَّات الاسيويَّة واخطر التآليف واعزّها في كل ضرب من العلوم الشرقيَّة. هذا فضلًا عن الفي كتاب مخطوط في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والتركيَّة والفارسيَّة مع آثار قليلة في اليونانيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة. فاذا أُضيف الى هذه الخزانة ما تحويه المكتبة الغربيَّة والمكتبة الطبيَّة والمكتبة المدرسيَّة وغيرها بلغ عدد كتب كليتنا مئة الف. وكثيرًا ما تلطَّف الرؤساء فسمحوا لاهل الادب من الوطنيين والاجانب على اختلاف

الاديان ان ينتفعوا من تلك الكنوز الادبيَّة ويقطفوا ما شاؤوا من تلك الثمار الجنيَّة. ولم يريدوا ان يُحرم طلبتهم الاحداث من مراجعة كتب الآداب فقرَّبوا منهم منافعها وخصُّوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذّب اخلاقهم وينير عقولهم ويفكه ارواحهم

وممَّا يستحق الذكر بين مكاتب الشام خارجاً عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جُمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرقة الموقوفة على الجوامع والمدارس فاضحت من اخصّ المعاهد الادبية وهي تحتوي نحو سبعة الاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطيَّة

وممَّا يعود فضلهُ الى بيروت خصوصاً في تعزيز الآداب العربيَّة فنّ التمثيل وقد سبق لنا كيفيَّة ظهوره على يد المرحوم مارون نقَّاش وما نجم عنهُ من المضرَّات بسوء استعماله في المراسح العموميَّة حيث مُثلت روايات مخلَّة بالاداب. الَّا انَّ هذا الفن الجليل عاد الى شرف مقامهِ في المدارس المسيحيَّة. وكانت كليَّتنا اوَّل من سبق الى تشخيص الروايات التمثيليَّة العربيَّة سنة ١٨٨٢ فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقيَّة لترسخ في قلوب طلبتهم مع حبّ الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثَّلوا حكم هيرودس على ولديه في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيها ورواية صدقيَّا ثم داود ويوناثان. وممَّا اقتبسوه من تاريخ العرب رواية ابن السموءل ورواية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة واخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهم وافرٌ الَّا انَّ معظمها بقلم الاباء او بعض اساتذة الكليَّة

وكما مُثلت المآسي والروايات الفاجعة او الفكاهيَّة كذلك كانت تعقد في كليَّتنا محافل ادبيَّة يحضرها اعيان البلد فيبحث اعضاؤها في بعض المشاكل التاريخيَّة او الابحاث اللغويَّة والادبية فياتي كل منهم بما جادت بهِ قريحتهُ نظماً او نثراً حتى يستوفوا الموضوع حقَّهُ ويبرزوا محاسنهُ من كل وجه. فدارت بعض هذه المجالس على مفاخر بيروت والآداب العربيـة وتنصُّر النعمان والقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس يوحنَّا الدمشقي والرشيد وبني برمك والمامون وعصره. وكان وجوه البلدة يحضرون تلك الحفلات بملء الرغبة والشوق. واخذت بقيَّة المدارس تجري على هذه الآثار لاسيما المدارس الكاثوليكية

كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمَّة بعض اساتذتها الأُدباء وخصوصاً عبد الله افندي البستاني والمرحوم نجيب حبيقه

هذه لمعةٌ من احوال الآداب العربيَّة في بلاد الشَّام في الخُمس الاخير من القرن التاسع عشر. وكانت مصر بعد تقدُّمها على الشام في النهضة الادبية اصابها بعض الخمول رغمًا عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتها العربية وهمَّة خديويها محمَّد علي باشا ووزير معارفها الهمام علي باشا مبارك. ولعلَّ سبب هذا الخمول انما كان انصراف نظر اهلها الى العلوم الاجنبية فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الاوربيَّة الى العربية فيدرّسونها في مدارسهم فيشغلهم الامر عن الاهتمام بالآداب العربية

ثمَّ حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨١ واحتلَّت الجيوش الانكليزيَّة القطر المصري فكان الاحتلال مضرًّا للغة العربيَّة من جانب ومفيدًا من جانب آخر امَّا ضرره فانَّا كان باتخاذ اللغات الاجنبية كلغات التدريس فحُرِمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها اليها واهمل كثيرون درسها. ألَّا ان مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد اخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وادخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانويَّة لنوال شهادة الحكومة. وزاد عدد المدارس الاجنبية التي لم تكن لتغضي عن درس العربية كمدرسة العائلة المقدَّسة في القاهرة للآباء اليسوعيين ومدرستهم في الاسكندريَّة وكمدارس الآباء الافريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحية

وكذلك المدارس الوطنية زادت عددًا ونموًّا في القاهرة وبقية بنادر القطر المصري حتى جُعل لها ديوان يهتمُّ بشؤونها دُعي ديوان المدارس ثم عُرف بديوان المعارف العمومية. وفي هذا الوقت حُوّرت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقًا لاسيما مدرسة الازهر التي نالها بعض الاصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافية والتاريخ لكنَّها لم تزل بعيدة عن رتبة الكليات الاوربية

وفُتحت اذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم. وكان اخصّها المكتبة الخديويَّة التي أُنشئت في عهد محمَّد عليّ ألَّا انها لم تنظَّم وتحفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة الَّا بعد ذلك بهمَّة نظَّارها الاوربيين كالدكتور ڤولرس المتوفَّى آخرًا والدكتور مورتس ناظرها الحالي

ونشأت عقيب الاحتلال الانكليزي الحياة السياسية بما مُنحتهُ المطبوعات من الحرّيّة واتسعت دوائر الصحافة خصوصاً فبلغ عدد الجرائد والمجلات العربية في مصر ما يُربي على المئة. وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان اكثر مديري تلك المنشورات ومنشيها من اهل سوريَّة وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى اناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدّموا على غيرهم بما عُرفوا بهِ من النشاط والذكاء والتفنُّن في الكتابة. والحقّ يقول ان اكبر المجلات المصريَّة كالمنار والمقتطف والضياء والهلال واعظم جرائدهم كالمقطَّم والاهرام والعمران كان يحرّرها السوريُّون

وممَّا اكتسبتهُ مصر من الاحتلال الانكليزي لنشر آدابها توفُّر المطابع وتحسن ماديَّاتها فأمكن المصريين لو شاؤُوا ان يطبعوا الكتب طبعاً متقناً كمطبوعات الشام. وقد استعاروا من مسابكها حروفهم. فنُشرت اذ ذاك في وادي النيل معاجم جليلة كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الاثير. وكتب لسانية خطيرة ككتاب سيبويه ومخصّص ابن سيده. وكتب تاريخية اخصُّها ما نشرتهُ المكتبة الخديويَّة كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن جيعان وتاريخ الفيّوم. ومثلها تاريخ السخاوي وطبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة. وكتب ادبية كخزانة الادب وحلبة الكميت للنواجي وبعض دواوين وتآليف أُخرى. ومع ما اجدت هذه المطبوعات المصريَّة من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائص كثير منها كسقم طبعها وكثرة اغلاطها وقلَّة ضبطها بالشكل وخلوّها من الشروح والملحوظات والروايات والفهارس. وربَّما عمد اصحابها الى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجرَّدوها عن محاسنها وقد بيَّنَّا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيه مطبوعات مصر (في المشرق ١١: ٤٣٠-٤٤٠) فشكرنا عليه أُولو الذوق ومحبُّو الآداب

امَّا الجمعيات الادبية في مصر فسعى بانشائها بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بها القطر المصري خدماً صادقة كما تشهد على ذلك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلَّة القوم يشاركونهم في الاعمال. وقد اراد الوطنيُّون غير مرَّة ان يجمعوا قواهم بالانضام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدهم ينفرط بعد قليل لتباين الاغراض

امَّا الاقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابها خفيفة لم يشتهر في نهضتها الّا الافراد. ففي هذه المدَّة ابرزت مطبعة الجوائب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وادب الدنيا والدين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفيَّة وادبيَّة متعدّدة لابن سينا وللثعالبي وللضبي وغيرهم. وادَّى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدماً تذكر فتُشكر. وكذلك الآباء الكرمليُّون في بغداد عزَّزوا مدارسهم فزاد اقبال الناشئة العراقية عليها. وقصَّ آثارهم الكلدان الكاثوليك بتهذيب الاحداث

وفي هذا العهد دخل فنّ الطباعة الى مكّة فأُنشئت مطبعتها الاميريَّة واخصُّ ما طبع فيها الفتوحات الاسلامية للسيّد احمد زيني دحلان وبعض الدواوين

ونُشرت في جهات العجم عدَّة منشورات بعضها تاريخيَّة كمقاتل الطالبيّين لابي فرج الاصبهاني وروضات الجنَّات في احوال العلماء والسادات. وبعضها ادبية ولغويَّة واغلبها دينيَّة واكثر هذه المطبوعات سيّئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها. وربَّما كان طبعها على حجر على اسوإ صورة. ومثلها سقماً وسخافةً مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فانَّ مطبوعات كثيرة طُبعت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد للطوسي وشرح الهداية الاثيريَّة لكنَّها لا تستحقّ اعتباراً لسوء طبعها واحسن منها رسائل اخوان الصفا وديوان عليّ بن ابي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرَّب وديوان شرف الدين المقّري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. وللحكومة الانكليزيَّة في كلكوتا مطبعة اصدرت عدَّة تآليف مفيدة أتقن طبعها وقد مرَّ لنا ذكرها (لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Die Sprachfrage in Griechenland von G. N. Hatzidakis. Ἐν Ἀθήναις. P. D. Sakellarios, 1905, in-8°, p. 142.

اللغة العامية في بلاد اليونان

هذا الكتاب لاحد اساتذة اثينة طُبع بالالمانيَّة اوَّلاً ثم نُقل الى الفرنسويَّة لاقبال القرّاء على مطالعته. اما غاية المؤلف من وضعه فالحكم بين فيئتين من العلماء في امر

اللغة اليونانيَّة الحديثة . ومن المعلوم ان اليونانيَّة المستحدثة تُقسم كالعربيَّة الى لغة مهذبة كلغتنا النحويَّة ولُغة عاميَّة . الَّا ان الفرق بين اللغتين في اليونانيَّة اعظم منهُ في العربيَّة . فان اللهجة العربيَّة الشائعة على ألسنة الجمهور لا تختلف عن اللغة الصحيحة الَّا في بعض الامور العرضية كاغلاط معروفة والفاظ دخيلة وتعابير عاميَّة اما اليونانيَّة فان لغتها المهذبة في ايَّامنا تختلف عن لغة قدماء اليونان اختلافاً عظيماً . ومن ثم يرتأي بعض العلماء المحدثين ومنهم العلامة كرمباخر (Krumbacher) وبسيخاري (Psichari) انَّ هذه اللغة الجديدة لا تستحقّ التفات الادباء اذ انَّها لغة صناعيَّة ادرجها قوم من الكتبة الذين سهوا عن قوانين العلم وتتبَّعوا اهواءهم الباطلة في تركيب انشائهم . ورأيُ هؤلاء المتقدمين ان يعود الكتبة اليونان الى اللغة القديمة فلا يحيدوا عنها في كتاباتهم . اما لغة التكلم فانَّهم يرون انَّ الاولى ان تتَّخذ لهجة عاميَّة ينتزعونها من اللهجات اليونانيَّة الشائعة سابقاً في انحاء اليونان فيجرون عليها او يصطلحون على اتخاذ اليونانيَّة الدارجة في الكتابة والتكلم معاً . الَّا ان قوماً اخرين يزعمون انَّ اللغة اليونانيَّة القديمة لم تُفقد وانها محفوظة في اللهجات الشائعة في عهدنا وانَّ ما أُدخل في تلك اللهجات من الاصطلاحات والحروف مثل θά و ντ قد دخل بمساعي العلماء ونفوذهم دون تروٍّ . فهذه الاراء وغيرها يتفاوض فيها الكتبة وينزع كلٌّ فيها منزعهُ . اما المسيو هتسيداكيس مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده فانهُ يعارض مذهب هؤلاء الآخرين وينتقدهُ بادلَّة عديدة . ورأيهُ انَّ اليونانيَّة الحديثة كما هي جارية في الانشاء الحديث والكتابة انَّما هي ابنة اللغة القديمة وثمرتها الطبيعيَّة وهيهات ان يجد الباحث آثار تلك اللغة في اللهجات العاميَّة الدارجة . وعليهِ فانهُ يستصوب المحافظة على هذه اللغة الكتابيَّة المستحدثة وتوسيع نطاقها دون السعي باستعمال اللغة القديمة . فان العود الى تلك اللغة كنشر الميت من قبرهِ وهو امرٌ ينفيهِ العقل ولا يؤدي بصاحبهِ الى نتيجة علميَّة . وهذا النزاع لا يزال قائماً على ساق بين المؤلف وخصومهِ . وقد صنَّف آخراً كتابين جديدين في الموضوع عينه ردًّا على العلامة كرمباخر اسم الاوَّل ('Αντιλεγόμενα) والثاني (Νέα ἀντιλεγόμενα)

GUIDE DU NIL AU JOURDAIN par le Sinaï et Pétra, sur les traces d'Israël, par le **R. P. Barnabé Meistermann**, in-12, XXV-381. *Paris, Alph. Picard et Fils.*

دليل المسافر من النيل الى الاردن على طريق طور سينا وبترا

قد اضحى اليوم السفر الى طور سينا كملحق لازم لزيارة الاراضي المقدَّسة نعم انَّ فلسطين والجليل وجهات الاردن تحتوي معظم آثار العهدين القديم والحديث الّا انَّ شعب الله بروره في شبه جزيرة سينا مع ما حدث لهُ فيها من الاحداث الخطيرة والوقائع الشهيرة قد قدَّس تلك الجهات فلا تتمّ معرفة الجغرافيَّة المقدَّسة الّا بها . ولمَّا كانت تلك الاصقاع بلاد تيه ومجاهل يصعب فيها التجوُّل بلا دليل قد قام حضرة الاب الفرنسيّ برنباي فوضع هذا الكتاب ليستدلَّ به الزوَّار على حزون سينا وبطونها واغوارها وانجادها فوصف طرقها وآثارها وذكر ما ينوط بكل محل من المشاهد المقدَّسة وزيَّن كتابهُ برسوم وخوارط وتصاوير فوتغرافيَّة كاد يبلغ عددها المئة فجاء التاليف كدليل حيّ لمن يروم التطواف في تلك البلاد. هذا مع انَّنا لا نقطع بصحَّة بعض الاراء التي تفرَّد بها حضرة الاب او عارضهُ فيها غيرهُ من العلماء وعلى كل حال لا يسعنا الّا الثناء على هذا التاليف وفوائده الجليلة ر. س

LES MARTYRS: VII ET VIII-LA RÉFORME. Par Dom. H. Leclercq O. S. B., Paris, G. Oudin et C^ie.

اعمال الشهداء في عهد الاصلاح البروتستاني

انَّ اعمال الشهداء تُعدّ من اصدق الآثار التاريخيَّة لأنَّ كثيرًا منها كانت تدوَّن في المجالس القضائيَّة وتصدر على صورة شرعيَّة ممضاة بتوقيع القضاة وكانت تتضمَّن كل تفاصيل الدعوى واستنطاق الشهداء. وكان النصارى يسعون في استنساخها ويحفظونها في السجلَّات الكنسيَّة . ومن ثم كان كتبة التاريخ الكنسيّ يعوّلون عليها ويستمدّون من مضامينها. ولكن لسوء الحظ قد فُقِد بتمادي الاجيال عددٌ من هذه الآثار حتى سعى أولو الهمَّة في جمعها ونشرها في القرن السابع عشر. على ان الاكتشافات الحديثة التي اثارت في عهدنا من مدافنها عدَّة مطامير مجهولة اتتنا ايضًا بكثير من هذه الآثار فشمَّر احد الآباء البندكتيين وهو دون لوكلارك عن ساعد الجدّ واعمل نظر الانتقاد في كل هذه البقايا الثمينة منذ اوَّل النصرانيَّة الى القرن الحاضر فاختار منها ما رآهُ صحيحًا ثابتًا

يستند اليه في التاريخ الديني وهو عملٌ عظيم لا يتم الّا بعد سنين مديدة وقد أنهى منهُ ثمانية مجلّدات ضمّنها اعمال الشهداء في الثلثة القرون الاولى أيام المحن الكبيرة ثم على عهد يليان الجاحد وملوك الفرس والونداليين ثم الشهداء الذين قتلهم اليهود والشرقيّون ومحاربو الصور المقدّسة الى نهاية القرون الوسطى والمجلّدان الاخيران اللذان اهداهما ادارة المشرق المتولي لطبع هذا المجموع يحتويان اعمال الشهداء الذين ذهبوا ضحيّة ايمانهم على يد البروتستانت في جهات اوربّا ولاسيما في المانية وانكلترة وقد أُضيف اليهم شهداء آخرون متفرقون اخصّهم شهداء اليابان ولم يكتفِ المؤلف بذكر الشدائد واصناف العذابات التي قاساها اولئك الشهداء بل بيّن باثبت الشواهد ما كانوا يزدانون به من الفضل والتقى وبرارة الحياة فماتوا في سبيل ايمانهم بعد التروّي والتفكير مفضلين اوامر الله على وعيد البشر وعلى حياة زائلة وكان بينهم الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيون من كل سنٍ وكل طبقة حتى الفتيات والاطفال فساروا الى الموت سيرهم الى الفوز والظفر فنحضّ كل محبي التاريخ الكنسي على مطالعة هذه الآثار فانها مما تستروح به الالباب وتستنير به الاذهان

ي. م

La Religion des primitifs, par MGR LE ROY, évêque d'Alinda, supérieur général des Pères du Saint-Esprit. In-16, IX-518 pp. *G. Beauchesne* et Cie, *Paris*.

دين الاوّلين

من المعلوم ان علم الاديان من العلوم الحديثة التي تعدّدت فيها الكتابات والابحاث حتى يبلغ عددها العشرات كل سنة . واكثر الذين يكتبون في ذلك من لا دين لهم فيعتبرون الاديان كمخترعات بشريّة وينزلونها منزلة العادات واللغات التي تنشأ في كل بلد فتأخذ من طباع اهله واحوال سمائه وتربته . ثم يسعون في كتابة تاريخ تلك الاديان على ما يتخيّلونها في اوهامهم فيجعلون لها اصلاً ثم جذرًا ثم فروعًا وافنانًا وفقًا لسنّة النشوء والترقي الدروينيّة . فلابطال هذه المزاعم ألّف احد الاساقفة وهو السيد لوروا رئيس جمعيّة آباء الروح القدس الذي بشّر بالايمان زمنًا طويلًا في الهند وسواحل افريقية كتابًا وصف فيه ما عاينهُ بين قبائل الهند وافريقيّة من المناسك الدينيّة فبيّن احوال تلك القبائل بازاء الدين نظرًا للعالم الآخر وما يغلب عليهم من المعتقدات الباطلة والخرافات سواء كان في معرفة الخالق والارواح والنفس او في عباداتهم وادبياتهم واثبت انَّ بينهم

وبين تعاليم الدين الحقيقي الموحى بها كبعد الثريا من الثرى . وقد اضاف الى كتابه فحص الديانات الشائعة في اقاصي الشرق وبعض اقطار آسيا وغيرها فاستنتج انهُ عارٌ على ذوي العقول النيرة ان يقابلوا بين تلك الاديان السخيفة والنصرانيّة الشريفة ر . ش

The Restorer of Favours and the Restrainer of Chastisements by TAJ-AD-DIN ABU NASR 'ABD-AL-WAHHAB AS-SUBKI. The Arabic Text with an Introduction and Notes. Ed. by David W. Myhrman, *London, Luzac and C°*, 1908. pp. LX † 59 † ٢٤٠

كتاب معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي

تاج الدين ابو نصر عبد الوهّاب السبكي سليل اسرة شريفة عُرفت بمصر والشام بفضلها ومعارفها الشرعيّة وقد اشتهر كثيرون من ابنائها بتآليفهم الفقهيّة والادبيّة في القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للمسيح . وقد تقلّب تاج الدين في الاعمال والرتب ولاسيما قضاء القضاة الى ان مات مطعوناً سنة ٧٧١ (١٣٧٠) في دمشق وعمرهُ ٤٤ سنة وقد أبقى عدّة تآليف جليلة تنطق عن سعة علمهِ تنيف على الستين اخصُّها كتاب طبقات الشافعيّة الكبرى في ستّة اجزاء وقد طُبع مؤخرًا في مصر . وبين تآليف السبكي الجديرة بالنظر كتاب معيد النعم ومُبيد النقم وضعهُ لمن يسألهُ كيف يستردُّ المرء من الله نعمةً دينيّةً او دنيويّةً اذا سُلبها . فدلَّهُ على الطرائق الموصلة لهذه الغاية . ثم تتبّع الرتب والاعمال التي يقوم بها الناس فعدَّ منها ١١٤ رتبة او صنعة بيّن ما يجب لاصحابها من الهمّة للقيام بحقّها ومن الصفات اللازمة للنهوض باعبائها وقد شرح ذلك مختصرًا بكلام ليّن وصورة قريبة المنال بحيث يعرف كل صاحب رتبة او عمل او صناعة ما تطلبهُ منهُ الذمّة والعدل مباشرة بالسلطان ثم النوّاب والوزراء والكتّاب الخ . فهذا الكتاب قد تولّى طبعهُ في ليدن المستشرق ميرهمان من اساتذة اوبسالا وراجعهُ على ثماني نسخ مختلفة فضبطهُ ضبطاً وافياً وقدّم عليهِ المقدّمات بالانكليزيّة وذيّلهُ بالشروح العلميّة واللغويّة حتى جعلهُ من ألطف المطبوعات الشرقيّة فنشكر للاستاذ همّتهُ ونتمنّى لكتابهِ رواجاً

Une Anglaise Convertie, par le P. H. D'ARRAS s. J., *Paris*, in-16, 1909.

ارتداد انكليزيّة الى الكثلكة

مؤلف هذا الكتاب احد الآباء اليسوعيين كانت أمُّهُ من اسرة انكليزيّة

شريفة تُدعى ميس لكمار (Miss Lechmere) وُلدت في الدين البروتستاني . فحدث لها في رجوعها الى الكثلكة من الامور الغريبة والحوادث العجيبة ما لم يمكنها ان تنسبهُ الّا لعناية تعالى فانارها وهداها الى سواء السبيل . وقد كتبت بيدها تفاصيل ارتدادها كما اوعز اليها احد ارباب الدين فوقع بعد موتها ما كتبتهُ في ايدي ابنها فلم يشأ ان يحرم منهُ القرّاء لحاسنه الغرّاء . فنشرهُ بالطبع وعلّق عليه التعليقات التاريخيَّة وغيرها مع عدَّة مكاتبات لوالدته الطيّبة الذكر فجاء كتابهُ كتذكار البرّ والحنوّ من ولد محبّ لأمه المحبوبة . وقد تلقّى الجمهور هذا الكتاب بمزيد الرضى لشهرة السيّدة درأس (وهو اسم الميس لكمار بعد زواجها) ولعظم فضلها على كل البائسين . فعسى ان يكون هذا الكتاب دليلًا لمن يطلبون طريق الهدى ونور الحق ل . ش

مجمع المسرّات

تأليف الدكتور شاكر بك الخوري

طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت (سنة ١٩٠٨ ص ٦٦٢)

يقول الفرنج انَّ قلم الكاتب صورة نفسهِ . وليس كتابٌ يمثّل صورة كاتبهِ مثل هذا . واوّل ما يلوح للقارئ من صفات الكاتب حلاوة لسانهِ وفكاهة نفسهِ ولذلك قد دعا كتابهُ مجمع المسرّات فانك لا تكاد تقرأ صفحة من التأليف دون ان تشعر بميل كاتبهِ الى التفكّه والمزح وسيّان عندهُ الهجو او الثناء . التاريخ او الرواية . الوصف او الرثاء . . فانهُ يكسو كل ذلك بثوب بهيج ينسجهُ من رائع اقوالهِ . ثم لا يلبث القارئ ان يتأكد بان الكاتب طبيب نطاسي قد اعتاد معالجة امراض الجسم فنقل طريقتهُ العلاجيَّة الى مداواة الارواح ولعلَّهُ جراحيٌّ اكثر منهُ طبيب فترى المشرط في يدهِ لا يرى دمّلًا الّا قصد بطّهُ ببضعهِ شاء العليل ام أبى وربَّما نفذ المبزع الى اللحم وأجرى شيئًا من دمهِ وأغضب العليل لكنَّ الجرّاح لا يرى في ذلك باسًا لأنَّ رأيهُ انَّ نقل الدم يؤذي صاحبهُ . وممَّا يتحقّقهُ قارئ هذا الكتاب ان مؤلفهُ يستخدم النظّارات (العوينات) فانَّ النظّارات كما هو معروف من شانها ان تكبّر بعض المنظورات وتصغّر غيرها . فهكذا جرى لكاتب جامع المسرّات فانَّ نظّارات قلبهِ عظَّمت لهُ امورًا ودقّقت غيرها فوصفها ليست كما هي بل كما لاحت لدى بصر عقلهِ فربّما بالغ نوعًا في

مدحها او بخسها شيئاً من حقّها. ولعلّ النظارات التي نظر فيها بعض امور الدين لا توافق بصره فالأحرى استبدالها بغيرها . هذا ما رأينا في هذا المصنَّف الفريد ولولا ضيق المقام لاثبتنا نبذًا من اقواله اللطيفة الّا ان قرّاء المشرق قد عرفوا سابقًا نضل اليك بما حلّينا به صفحاتنا من نثرهِ المستطرف او نظمهِ المستظرف فنحيلهم اليها (المشرق ٦:١ ٢٠ و ٤:٧ ٨٧ و ٥٠٥:٣ ٥٤٣ و ٩: ١٢٤) ل. ش

كتاب الزهرة الزكيّة في البطريركيّة السريانيّة

بقلم القس اسحق ارمله السرياني الماردينيّ

طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت (سنة ١٩٠٩ ص ١٣٤)

أولع حضرة القس الفاضل اسحق ارمله بدرس تاريخ ملّته السريانيّة وقد اتحفنا غير مرّة بآثار اجتهاده بما نشره في هذه المجلّة من المقالات التاريخية المفيدة . وهذا الكتاب الجديد من ثمار تلك الشجرة الطيّبة ضمّنهُ سلسلة البطريركية السريانية الانطاكية . ومن المعلوم انّ تلك السلسلة لم تكن اوّلًا لا سريانية ولا يونانية ولا مارونية وانّما كانت سلسلة كاثوليكيّة بحتة حتى غلبت عليها البدع منذ القرن السادس واخذت من ثم تتشعّب من ذلك النهر الزاخر جداول كدرة المياه مالحتها وكان اولّها الجدول اليعقوبي الذي افرزهُ عن مناهله الصافية ساويرا الانطاكيّ . وهذه السلسلة هي السلسلة السريانيّة التي امتدّت الى عهدنا وكانت حلقاتها دائمًا من المعدن الزائف الى ان عاد الحقّ الى نصابه في القرن السابع عشر مدّةً ثم في اوائل القرن التاسع عشر بنوع ثابت . وقد بيّن كل ذلك حضرة المؤلف بهذا الكتاب الصغير الحجم الحافل بالفوائد . الّا ان فوائدهُ عن القرون المتأخرة اكثر منها عن القرون السابقة التي غلب على اخبارها التشويش . وقد وقع مع ذلك في بعض التراجم اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة ثانية كقوله (ص ٧) عن فيلينس انهُ كان صاحب الشرط في انطاكية . والصواب انهُ لم يتولّ انطاكية وانما كان متصلًا على بلاد بيثنية ومنها كتب رسالتهُ الى طريانوس يستفتيه عن النصارى . وكذلك لم تُعرض مسئلة الفصح (ص ١٠) كما يثبتها التاريخ . وما ورد هناك عن برديصان لا يوافق عليه العلماء في عهدنا بعد اكتشاف بعض تآليفه المفقودة . ثم انّ الذي اوقفهُ بابولا الشهيد على باب الكنيسة ليس هو والي انطاكية (ص ١١) وانما كان قائد غرديان

الصغير فيلبُّس العربي الذي كان عاد الى رومية بجيش الرومان بعـد قتل القيصر ونُسب اليه قتلهُ ليتولَّى الامر بدلَّا منهُ . وكان فيلبُّس نصرانياً فلم يسمح لهُ اسقف انطاكية بحضور الاسرار مع المؤمنين . امَّا استشهاد بابولا فلم يقع سنة ٢٢٤ لكن بعد ذلك بكثير. ولا نشك ان المؤلف في طبعة ثانية يزيد كتابهُ تحسيناً وفوائد ان شاء الله ل . ش

شذرات

نغمات الشكوى منظومة قبل الدستور منشورة بعدهُ بقلم الشاعر المجيد الشيخ احمد افندي تقيّ الدين المحامي القانونيّ :

نبا بجسمي في النوى مضجعي وشفَّني السُّهدُ ولم أهجعِ
واستعجم العاذلُ معنى الأسى فجاد في إعرابهِ مدمعي
فجمرةُ الصدر تُثير البكا وجمرُ خدّي ناسخ الادمعِ
فكيف اخفي علّتي والضنا لم يُبقِ للأسرار من موضعِ
وكيف يحلو لجفوني الكرى والسهمُ من قلبيَ لم يُنزَعِ
وكيف أرتاحُ الى غمدِها والسيفُ فيها حامل الشرعِ
هيهات يا ناريَ ان تخمدي هيهات يا نفسيَ أن تقنعي
اني لمشتاق لورد العلى تشوّقَ الظمآنِ للمنبعِ

*

وعاذلٍ يحسدني في الدجى كأنني من شُهُبه اللمَّعِ
رأى قناتي بالنهى قُوّمت فشاقهُ في غمزها مصرعي

*

أبيتُ والبدرُ سميرُ الجوى أبثُّهُ الشكوى فيشكو معي
كأنّما شمس الضحى برِحت به فاحيا الليلَ كالموجعِ
ينير في قلبي سويداءهُ بغرةٍ كالصارم المشرعِ
وفي فؤادي المصطلي ظلمةٌ بغير نور الحق لم تُقشعِ

*

أروح في الاسحار أغشى الندى | والفضح الفجرَ لدى المطلعِ
واغتدي فوق غصون الصبا | مسبّحاً كالغرْد الوقَّعِ
أطيل للنفس ذيول المنى | وقصر الثوب على مطمعي
ان المنى داء لمرتادهـا | دواؤه الصبرُ ألاَ فأجرعِ
لو قبس الليلُ لظى مهجتي | لأستلَّ سيف الفجر من اضلعي
او صعدت لي في الدجى أنَّةٌ | أرهف اذنيه كذي مسمعِ
او سمعتْ ريمُ الفلا زفرتي | لأسرعت في البحث عن مربعي
فأعجبْ من العجماء ان ترعوي | واعجبْ من الناطق ان لا يعي

*

احييك يا ليل فلا تُغرِ بي | عواذلي واصبرْ ولا تجزعِ
وطلتَ يا ليلُ فهل للضحى | من حملةٍ تدفعها فاسرعِ
أيتهـا الشهبُ ألاَ فاغربي | أيتهـا الشمس ألاَ فاطلعي
تسنَّمي عرشَ السُّها واخلعي | بردًا لنا في هذه الاربعِ
ومزِّقي بالنور ثوب الدجى | من غير ما سيفٍ ولا مدفعِ
سافرةَ الغرَّة لا تختشي | عواذلًا حاسرةَ البرقعِ

*

فنحن في ليل هوى نجمهُ | وفي دجاه الشهب لم تلمعِ
في ذمّة الظلماء نسري بهِ | في فتيةٍ من النهى درَّعِ
ناشئة العصر وحسبي بهم | بيض المنى كالانجم الطلَّعِ
صدورهم في حبّ اوطانهم | مُنعمة كالقدح المترعِ
قلوبهم في حفظ ميثاقهم | منيعة كالمعقِل الأمنعِ
راموا لحاق البرق في جريهم | على جيادٍ ضمَّرٍ ضلَّعِ
واين هم من كهرباءٍ اذا | مزّقت الظلماء لم ترقعِ
وانَّهم يشقون في موطنٍ | يكرم فيه الخامل المدَّعي
تفرَّقت اعضاؤه مثلما | تفرَّق الرأي ولم يجمعِ
ورأسه اعتلَّ فمَن مُرجعٌ | صحّتهُ هيهات مَن مُرجعِ

لكنا الآمال تحيي الورى وغلّة الآمال لم تنقع
ونحن قوم . طال إخلادنا الى الونى والرق والمضجع
ترى شموس الغرب في حسرة وشمسنا في الشرق لم تطلع
ونقتدي العلياء في اثمن ما شئت يا مجد بها فاصنع
لعلّ في الشرق حياة بها يشيّد العمران في البلقع
لعلّ في الشرقيّ من نهضة تقيله من قعره الدقع
لعلّنا نرقى الى ذروة من العلى في موطن ممرع
لعلّ بدر العلم إن تنقشع غمامة من جهلنا يسطع
هيهات فالاوتار قد قُطّعت ولم يعد في القوس من منزع
ومن تغذّى بالمنى واكتفى اقام طاوي البطن لم يشبع
فقل لمن يبغي العلى فجأة أيحصد المرء ولم يزرع

الأخيضر — ان اكتشاف تلك القصور العجيبة البنيان التي تزين بلاد موأب وبادية الشام كقصر مشتّى وقصر طوبة وقصر الزرقاء التي عثر عليها السيّاح في السنين العشر الاخيرة لستلفتت انظار غيرهم الى بادية العراق لعلّهم يجدون هناك ايضًا آثارًا مثلها من خلفة المناذرة وملوك الحيرة . وقد جاء في الشعر الجاهلي ذكر كثير منها كالسدير والخورنق وسنداد وبارق والبيض وغيرها مما سكت عنه الاثريون في عهدنا . وقد علمنا بمزيد السرور انّ احد ذوي الهمّة من السيّاح الفرنسويين صديقنا المستشرق لويس مسّينيون توفّق الى وجود احد هذه القصور القديمة وجده على مسافة مئة كيلومتر من الفرات وخمسين كيلومترًا من كربلاء محجّ الشيعيّين . وهذا القصر من عجائب الابنية له سور مربّع ذو طاقين يقيس كل جانب منه ١٧٠ مترًا له متاريس وعدّة ابواب فخيمة . وكان يُدخل اليه من جهة الشمال . وفي داخل السور بناء مستطيل طوله ٨٨ مترًا في عرض ٧٥م وعلوّه ٥ امتار و٦٠ سنتمترًا . وفي وسطه باحة فسيحة . والبناء ذو طابقين فيه الغُرف والمقصورات والخزائن والمعاهد والمطامير وغير ذلك وقد وصف جناب السائح كل جهاته وابنيته في نشرة جمعيّة الكتابات والفنون واثبت صورة رسمه وبعض اقسامه . وهذا القصر يدعوه اهل البادية قصر الأُخيضر لما ينبت فيه من الخضرة وقت الربيع وقريب منه عين تنبع في وسط الرمل . وبعض اهل النجف يزعمون

انهُ قصر الخورنق الذي تكرَّر ذكرهُ في تاريخ ملوك الحيرة . وهو الذي بناهُ سنمَّار احد عمَّال ملك الفرس ازدشير او خسرو ابرويز في القرن الخامس للمسيح لكن الامر لا يزال تحت شك والمسيو مستينيون ساعٍ في تحقيقهِ .

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاب ق . ب . ١ً هل طبعت رسالتا المقريزيّ في النقود وفي الاوزان والاكيال . ٢ً هل طبعت العمدة في الجراحة لابن القفّ . ٣ً وهل من هذه الكتب نسخ خطيَّة قديمة مطبوعات ومخطوطات .

ج قد طبع العلّامة دي ساسي في باريس اوَّلاً رسالتي المقريزي في الاوزان والاكيال سنة (١٧٩٧) وفي النقود القديمة (١٧٩٩) ثم كرَّر طبعهما الالماني تيكسن سنة ١٧٩٧ و١٨٠٠ في رستوك من اعمال المانية واضاف اليهما ملحوظات شتَّى . وقد طُبعت ايضاً رسالة النقود في مطبعة الجوائب سنة ١٨٨١ وفي الاسكندريَّة سنة ١٨٩٩ . امَّا العمدة في صناعة الجراحة لابن القفّ فلم تُنشر بالطبع ومن كل هذه التآليف نسخ خطيَّة عديدة قديمة وحديثة في خزائن كتب اوربَّة وبعض مكاتب الشرق

س وسأل مستفيد من دير الكرمل هل يُعدّ كشهداء الذين قُتلوا آخرًا في مذابح آطنة وجيرها الاستشهاد وشرطهُ

ج لا يُعدّ كشهيد الَّا الذي مات لاجل الايمان المستقيم ومن ثم يُعتبر كشهداء اولئك الذين عُرض عليهم نكران دينهم فأبوا وقُتلوا اثر ذلك . وكذلك الذين قُتلوا لكونهم مسيحيين ورضوا بالموت ولو لم يقرّوا بدينهم علناً فانَّ رضاهم بمثابة الاقرار بمعتقدهم

س وسأل من غوسطا حضرة الخوري سمعان قزبلي هل يجوز للدائن ان ياخذ فائض الفائض من مديونهِ استنادًا الى العادة الجارية في لبنان عموماً عند كل الطبقات مع ان هذا محرَّم من الشريعة المدنية

فائض الفائض

ج معلوم انَّ الفائض يكون على شكلين امَّا بسيط وهو ما يتقاضاهُ سنويًّا صاحب المال من غريمهِ بدل المبلغ الذي قرضهُ ايَّاهُ . ولما مركَّب وهو ان يُضاف ذلك الفائض الى المبلغ المقروض فيؤخذ رباهما معاً . والشرائع المدنيَّة عادة تعترف بهما على حدّ سواء ولا نعلم ايشذّ القانون اللبناني عن ذلك . فان صحّ الامر كان اداء فائض الفائض موافقًا للعدل وللذمة وان لم يكن لزوم الغريم شرعًا بتأديتهِ ل . ش